عَقيدةُ الدّرُوز

عَرضٌ وَنقض

تأليف

الدكتور محمّد أحمد الخطيب

ملف رقم (1)

شبكة الدفاع عن السنة

d-sunnah.net

تنبيه : الكتاب في ثلاث ملفات ومكتوب بنط اللوتس

ملف (1) من ص (1-132)

ملف (2) من ص (133- 228)

ملف (3) من ص (229 -   )

هذا الكتاب في الأصل رسالة أعدت من المؤلف لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض
وكانت بإشراف فضيلة الأستاذ زيد بن عبد العزيز الفياض

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد اللّه ، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين ، وبعد .
فهذه الطبعة الثالثة من كتاب (عقيدة الدروز) أقدمها إلى القارئ الكريم ، راجيًا أن تلقى منه القبول والرضى كما في الطبعتين الماضيتين .
وقد عملت على تنقيح بعض ما جاء في الطبعة الماضية ، وزيادة بعض المواضيع والنقاط ، التي وجدت فيها أمورًا هامة يجب أن يتضمنها الكتاب .
ويهمني في هذه المقدمة أن أوضح بأن هذا الكتاب ليس موجهًا إلى طائفة أو أشخاص بعينهم ، وإنما هو توضيح وبيان يظهر الحقائق التي يجب على المسلم أن يعرفها عن عقائد الطوائف التي تعيش معه ؛ لأن المسلم وإن كان مطلوبًا منه أن يحسن معاملة من يعيشون معه – من غير دينه - ، إلا أنه – وفي الوقت نفسه – محرم عليه أن يجامل على حساب دينه وعقيدته .
لذا فإني وإن كنت لا أطعن في وطنية كل مَنْ ينتسب إلى الطائفة الدرزية ، إلا أني – وفي الوقت نفسه – لا يمكن أن أنسب هذه الطائفة إلى الإسلام ، رغم أن هذا لا يعجب بعضًا من الدروز ، لكن الموضوعية والوصول إلى حقائق الأ مور ، هي التي يجب أن تضيء لنا الطريق في هذه القضية .
وكم وددت أن يصلني – عند صدور الطبعة الأولى – بدل التهديدات والشتائم ، رسالة موضوعية من الدروز توضح فيه الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، ولكن مع الأسف لم تكن الموضوعية طريق هؤلاء ، فأمطروني بدل منها برسائل السب والشتم والتهديد .
ورغم ذلك ، فإني أكرر وأقول لست من الدين يُؤَلِّبُون صدر الدروز ، وإنما أريد أن أصل إلى حقائق الأمور في موضوع عقائدهم ، وأملي من الدروز أن يظهروا عقلية حكيمة ، وأن لا يبخلوا عليّ ببعض التوضيحات والأمور التي يجدون فيها الصواب ، فلعل في هذه الطريقة ما يوصلنا إلى طريق الحق الذي نبتغيه .
وفي الختام ، أرجو الله العلي القدير أن يهدينا سواء السبيل ، سبيل الذين أنعم عليهم ، وأن ينفع بهذا الكتاب ، وبالله التوفيق .

الدكتور محمد أحمد الخطيب
4 جمادى الأولى 1408 هـ
25 كانون أول 1987 م

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله . فلا مضل له ، ومَنْ يضلّ ، فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسائر من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، وبعد .

فمنذ أن بزغ فجر الإسلام على هذه الأرض ، وأعداؤه من اليهود والصليبيين و المجوس وغيرهم يحيكون الفتن والمؤامرات ضد هذا الدين الحنيف ، محاولين أن يزعزعوا أركانه ، ويشككوا بفرائضه ، وينتقصوا من رسوله صلوات الله عليه ، ليطفئوا نوره .

ولهذا توالت الخناجر المسمومة من هؤلاء الأعداء ، يحاولون أن يغرزوها في جسم المجتمع الإسلامي ، وكان أول هذه الخناجر حركة الارتداد عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي وقف في وجهها بكل قوة وحسم الخليفة الصديق أبو بكر رضي الله عنه والتي دبرها المجوس واليهود .

ولما وجد هؤلاء الأعداء أن هذه الطريقة لم تجد في تفتيت هذا المجتمع اتخذوا وسيلة أخرى ليزرعوا خنجرهم المسموم ، وكان أن قام بهذا عبد الله بن سبأ اليهودي الحاقد ، والذي حاول من خلال تشيعه لعلي وآل البيت أن ينفث سمومه وأفكاره الهدامة ، بادعاء ألوهية علي بن أبي طالب ، والتحريض على قتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما . وبالفعل فقد أصبح ابن سبأ أستاذًا لكل الفرق الأخرى التي ظهرت فيما بعد ، من خلال الأفكار الملحدة التي طرحها ، فظهرت فرق هدامة كثيرة ، كالفرقة الخطابية التي ادعت ألوهية جعفـر الصادق ، ودعت أيضًا إلى الإباحية والتحلل من كل شيء .

وكان من تلامذة هذه الفرقة " ميمون القداح " ، ذلك المجوسي الحاقد على الإ سلام والمسلمين ، والذي ادعى حب جعفر الصادق وتشيعه له ، فاستطاع بهذا وبمساعدة ابنه عبد الله أن يبثوا أفكارهم الإلحادية في نفس محمد بن إسماعيل حفيد جعفر الصادق ، فكانت أن ظهرت الباطنية الإ ِسماعيلية على يد القداح وابنه ، حيث قسمت إلى تسعة مراتب يترقى بها الداخل في هذه الفرقة ، فيتحلل أثناء ذلك من كل ارتباط له بالإسلام .

وادعى عبد الله بن ميمون بعد ذلك أنه من نسل آل البيت ، وبهذا الادعاء استطاع أن يؤسس أحفاده الدولة العبيدية في المغرب ، والتي كانت عونًا لكل مَنْ يكيد للإسلام والمسلمين متسترة بالإ ِمامة لآل البيت ، ولهذا فقد تقوّى بها القرامطة ، فكانوا يتلقون أوامرهم منها ومن ملوكها ، ومع مرور الزمن

زادت هذه الدولة قوة بفتحها لمصر سنة 385 هـ على يد جوهر الصقلي في ملك المعز العبيدي ، فأصبحت منذ ذلك الحين مركزًا لهذه الدولة .
وفي سنة 386 هـ تولى الحكم ملك جديد في هذه الدولة هو الحاكم بأمر الله ، والذي كان عنوانًا للغموض والأفعال الغريبة المنافية للعقل الصحيح ، سفاكًا للدماء ، يقتل بلا حساب ولا روية .
وما كانت هذه الأفعال إلا مقدمة لما كان يعتلج في نفسه بادعائه للألوهية ، فالتف حوله أشخاص حاقدون على الإسلام والمسلمين زينوا له هذه الفكرة الخبيثة ، فكان أن ظهر محمد بن إسماعيل الدرزي أولاً بهذا الادعاء ، وتبعه حمزة بن علي سنة 408 هـ ، الذي يعتبر مؤسس مذهب الدروز – الذي نحن بصدد بحثه - ، ذلك المذهب الذي لا يزال أتباعه للآن موجودين في سوريا ولبنان وفلسطين .
ونظرا لكثرة الفرق الضالة والموجودة بين ظهراني المسلمين ، والمزروعة في جسم المجتمع الإسلامي ، أمثال هذه الفرقة ، وفرق النصيريين ، والإسماعيليين ، والبهائيين وغيرهم ، وبسبب جهل أكثر المسلمين بهذه الفرق ، حتى أن بعضهم يعتبرها مذاهب إسلامية ، لذلك رأيت أن يكون عنوان رسالة الماجستير المقدمة مني هو عن (عقيدة الدروز) محاولاً فيها أن أبين لعامة المسلمين حقيقة مذهب هؤلاء ليتبين لهم الحق من الباطل .
وعلى هذا لست بالذي يزعم ، أني أسير في طريق لم يسلك من قبل ، فقد كتب في هذا الموضوع الوعر الشاق كثيرون(1)، ولم يخل الأمر من كتابات رائدة أدت دورًا مشكورًا ، ولكن مازال هنالك مجال واسع لمزيد من الدراسات لتتضح جنبات هذا الموضوع الشائك ، وتبرز كل خفاياه .
ومع الأسف الشديد ، فإن كل الدراسات الجيدة التي ظهرت عن الدروز ، كانت تختفي بعد طبعها من الأسواق بسرعة نادرة ، وما هذا إلا طريقًا من طرق الدروز في التعمية والتستر على ما يعتقدون ، فهم يسارعون إلى شراء الكمية من الأسواق ليبقى الناس على جهل بهم .
وكلي توَجُّه إلى الله سبحانه وتعالى ، أن يجعل دراستي هذه ، ذات أثر فعال في إعطاء المزيد من الضوء على هذه الطائفة ، بحيث أكون قد قدمت خدمة جليلة إلى المجتمع الإسلامي ، بعونه تعالى وتوفيقه ، في سبيل أن يظهر

(1) من أمثلة ذلك : الدراسة الجيدة عن الدروز التي كتبها الدكتور محمد كامل حسين بعنوان (طائفة الدروز) سنة 1962 م وما كتبه من قبل الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض بحلقات في مجلتي المنهل وراية الإسلام الصادرتين بجدة والرياض في 1379 ، 1380 ، 1381 هـ

الحق من الباطل .
وسيقوم بحثي هذا على دراسة العقيدة الدرزية من كل جوانبها ، متعرضًا لبعض الجوانب الرئيسية فيها بالبحث والنقض ، وخاصة القضيتين الرئيسيتين في هذه العقيدة ، وهما ألوهية الحاكم ، وتناسخ الأرواح .
وقد فرضت عليّ طبيعة البحث ، أن أقوم بدراسة تاريخية لبعض الجوانب ، وخاصة حياة الحاكم ؛ لأنها الجانب الرئيسي التي استقى الدروز عقائدهم منها ، لذا كان لابد من استعراض جوانب كثيرة من حياة الحاكم لتكتمل الصورة في ذهن القاريء . وكذلك لحياة دعاة الدروز الأوائل ، والذين قام على أيديهم هذا المذهب .
وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة أبواب ، يسبقها تمهيد عن الطائفة الإ ِسماعيلية الباطنية ، والتي انبثق عنها الدروز وأخذوا منها الكثير من عقائدهم ، وفي نهاية الأبواب الثلاثة خاتمة أتحدث فيها عن نتيجة هذا البحث ، وحكم الإ ِسلام فيهم وفي معاملتهم ، فيكون الهيكل العام للرسالة على الشكل التالي :
التمهيد : نشأة الدروز وصلتهم بالإ ِسماعيلية الباطنية :
وهو بحث لابد منه بين يدي دراستنا ، وفيه أتحدث عن نشأة الإ ِسماعيلية الباطنية ، والظروف التي نشأت فيها ، والعقائد التي تأثرت بها ، وكذلك عن كيفية قيام الدولة العبيدية ، والتي اتخذت عقائد الإ ِسماعيلية عقائد لها ، وأخيرًا عن كيفية قيام المذهب الدرزي في عهد الحاكم بأمر الله ، على يد الدرزي وحمزة بن علي ، متعرضًا خلال ذلك لكثير من العقائد التي أخذها الدروز عن الإ ِسماعيلية .
وبهذا تتضح كل الأمور الرئيسية التي لابد من بيانها ، قبل الدخول في هذا البحث .
الباب الأول – شخصية الحاكم بأمر الله ، وأثرها في عقيدة الدروز ، وأشهر دعاة الدروز وآراؤهم :
ويحوي هذا الباب ثلاثة فصول هي :
الفصل الأول : الحاكم بأمر الله : حياته وآراؤه وأثرها في عقيدة الدروز .
أعرض في هذا الفصل ، لتفاصيل كثيرة من حياة الحاكم بأمر الله ، وجوانب هامة من آرائه عند الدروز على أنها أفعال تصدر من إله ، معتمدًا في كل هذا على نصوص كثيرة من رسائلهم وكتبهم المقدسة .
الفصل الثاني – تطور المذهب الدرزي بعد الحاكم :
وأعرض فيه ، عن التطورات التي جدت على عقائد الدروز بعد مقتل الحاكم ،

وكذلك عن تطورها في الوقت الحاضر بظهور ما يسمى بـ (مصحف الدروز)
.
الفصل الثالث – أشهر دعاة الدروز وآراؤهم : أتحدث فيه عن أشهر دعاة الدروز الذين قام المذهب على أيديهم ، وخاصة الدرزي ، وحمزة بن علي ، و الفرغاني ، والظروف التي قاموا بها ، والخلافات التي قامت بينهم ، وأشهر العقائد التي نادوا بها .

الباب الثاني – عقيدة الدروز والرد عليها :

ويتضمن فصلين اثنين :

الفصل الأول – عقيدة الدروز :

ويحوي المباحث التالية عن عقائدهم ، والتي أدرسها بتفصيل ، معتمدًا في ذلك على نصوص رسائلهم وكتبهم :
1 – ألوهية الحاكم عندهم .
2 – التناسخ والتقمص والحلول .
3 – الحدود الخمسة .
4 – عقيدتهم في اليوم الآخر والثواب والعقاب .
5 – عقيدتهم في الأنبياء .
6 – عقيدتهم في التستر والكتمان .
7 – رسائلهم وكتبهم المقدسة .

الفصل الثاني – الرد على عقيدتهم .

ويتضمن مبحثين اثنين :
أرد فيهما على عقيدتين مهمتين من عقائدهم ، وهما مفهومهم في الألوهية ، وحلول اللاهوت في الناسوت ، والثاني إبطال قولهم بالتناسخ والرجعة ، معتمدًا في ذلك على كثير من الآيات القرآنية الكريمة التي نقضت هذه المفاهيم من أساسها :
1 – إبطال مفهوم للألوهية ، وحلول اللاهوت في الناسوت .
2 – إبطال قولهم بالتناسخ والرجعة .
وقد اخترت هاتين العقيدتين للرد عليهما ، لأنهما اللبنة الرئيسية في العقيدة الدرزية ، وبإبطالهما يتبين بطلان هذا المذهب .

الباب الثالث – شريعة الدروز وتقسيم المجتمع عندهم وموقفهم من الأديان والفرق الأخرى .

ويحوي فصلين اثنين :

الفصل الأول – شريعة الدروز وتقسيم المجتمع عندهم .

ويتضمن المباحث التالية :
1 – نقضهم أركان الإسلام ، وفرضهم بدلها سبع دعائم تكليفية : وأتحدث فيه عن موقفهم من أركان الإ ِسلام ، في رسالة حمزة الخاصة بنقض هذه الأ ركان ، وعن فرضه بدلها ما سماه بسبع دعائم تكليفية ، وفي هذا يتبين موقفهم العام من الإ ِسلام .
2 – الزواج والطلاق والوصية عندهم : وأتحدث فيه عن أهم الأحكام و الشرائع الخاصة بهم ، وخاصة في الزواج والطلاق والوصية وغير ذلك .
3 – تقسيم المجتمع الدرزي : أتحدث في هذا المبحث عن تقسيم المجتمع الدرزي ، إلى عقال ، وجهال ، وطبقاتهم ، وكيفية دخول الجاهل في سلك العقال .

الفصل الثاني – موقف الدروز من الأديان والفرق الأخرى .

وأتحدث فيه عن موقفهم من اليهودية والمسيحية والطائفة النصيرية ، وذلك من خلال رسائلهم التي تتحدث عن ذلك .

وبعد هذه الأبواب الثلاثة ، يصل البحث إلى خاتمته ، وأهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث . وحكم الإ ِسلام في هذه الطائفة ، وحكم معاملتهم .

وأما بالنسبة للمراجع والمصادر ، فقد اهتممت بكل ما كتب عن هذه الطائفة ما لهم وما عليهم قديمًا وحديثًا ، أما القديم فمن رسائلهم المخطوطة والموجودة في كثير من مكتبات الجامعات الأجنبية ، ومن الكتب التاريخية التي تحدثت عنهم وعن عقائدهم مطبوعها ومخطوطها ، وأما الحديث منها ، فمن كتب عنهم مادحًا أو ذامًا لهم ، وقد يكون فيه فائدة ونفع .

وهذا لا يعني أني أخذت كل ما فيها دون روية وتمحيص ، بل عمدت جاهدًا إلى البحث المستقصى ، ولذلك لم أعتمد على نسخة واحدة من مخطوطات رسائلهم ، بل قارنت بين نسخ كثيرة من رسائلهم الموجودة في أماكن متفاوتة ، لأصل بعد ذلك إلى النتائج السليمة ، بعون الله .

وأخيرًا ... فهذا الجهد هو جهد مُعَرّضٌ للخطأ والصواب ، فلابد من هفوة أو هفوات ، وإلا لكان الكمال لمن خُلِقَ ضعيفًا وهذا لا يكون .

ولا يفوتني ، في ختام هذه المقدمة ، أن أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الا متنان والتقدير لفضيلة الأستاذ زيد بن عبد العزيز الفياض الذي منحني من وقته وعلمه ما لا أقدر على شكره ، وإلى كل مَنْ مَدّ إليّ يد العون والمساعدة وخاصة الأستاذ زهير الشاويش ، راجيًا الله العلي العظيم أن يُوَفِّقَ الجميع لما يحبه ويرضاه .

وختامًا أدعو الله سبحانه وتعالى ، أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه تعالى ، وأن ينفع به ، وأن يُوَفِّقَ الجميع لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

* * * * *

التمهيد
نشأة الدروز وصلتهم بالإ ِسماعيلية الباطنية
-1-

الدروز لغة :

جاء في القاموس ما يلي :
((الدّرْزُ : واحد دُرُوز الثوب ونحوه ، وهو فارسي معرّب ، ويقال للقمل و الصِّئْبَان : بنات الدُرُوز)) . وبنو دَرْزٍ : الخياطون والحاكة ، وأولاد دَرْزَة : الغوغاء . والعرب تقول للدّعِيّ : هو ابن دَرْزَة ، وذلك إذا كان ابن أمَةٍ تُساعي فجاءت به من المُسَاعاة ولا يعرف له أب)) (2).

أما طائفة الدروز فهم فرقة باطنية يعتبرون أنفسهم منذ ما يقرب من ألف سنة في دور الستر ، فلا يكشفون أمر عقائدهم بما يلقي الضوء على مذهبهم .

(والباطنية بعامة مذهب خفي اتخذه أصحابه وقاء من نقمة مخالفيهم في الا عتقاد ، شرعة اليونان القدماء ، فهو منسوب إلى أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس . ومن هذه المصادر الثلاثة انحدر المذهب إلى الدروز ، الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين ، ثم طبقوا هذا المذهب على التعاليم الإ ِسلامية ، ثم أحاطوه بالحذر والكتمان حتى اليوم) (3) .

(واسم الدروز كان – ولا يزال – مثار مناقشات عديدة بين الكتّاب و المؤرّخين ، فالمعروف أن هؤلاء الأقوام لا يحبون أن يلقبوا بهذا اللقب ، ويستنكرون أن ينسبهم أحد إلى الداعي نوشتكين الدرزي ، الذي رأينا أنهم يرمونه بالإ ِلحاد .

والخروج عن دعوتهم وعقيدتهم ، ويطلقون على أنفسهم اسم (الموحِّدين) وهو الاسم الذي عرفوا به في كتبهم المقدسة) (4).

وهذا يوضح أن لقب الدروز ، كان نسبة إلى نشتكين الدرزي ، ولكن الأستاذ سليم أبو إسماعيل يقول : (إن الدرزية نسبة عسكرية لا مذهبية ، وأنهم ينتسبون إلى القائد الفاطمي أبي منصور أنوشتكين الدرزي) (5) .

ولا شك أن هذا الكلام لا يستند إلى أي واقع تاريخي ، ذلك لأن هذا القائد قد ظهر بعد عصر الحاكم ، ولا يوجد أية علاقة بينه وبين هذه الطائفة .

---

(2) ابن منظور / لسان العرب ج 5 ص 348 ·
(3) عبد الله النجار / مذهب الدروز والتوحيد ص 28 ·
(4) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 8 ·
(5) سليم أبو إسماعيل / الدروز ـ وجودهم مذهبهم وتوطنهم – ص 64 , 65 .

وهناك مَنْ يقول أن نسبهم يعود إلى (الكونت دي دروكس) الفرنسي أحد قادة الصليبيين الذين هربوا إلى جوار الدروز بعد هزيمتهم في عكا ، بينما تقول كاتبة أخرى أن اسم الدروز جاء من حمزة نفسه : (إذ ثبت تلامذته قائلا ً : اذهبوا الآن ، فأنتم لستم بعد الآن (متدارسَين) بل (متدارسِين) ، لأنكم قد التزمتم علومًا وغرز الإ ِيهام فيكم كما يغرز الخيط البزوز) (6).
وهذه المزاعم أيضًا لا تؤيدها أية أخبار تاريخية ، وإنما هي تخيلات لا أساس لها من الصحة .
ولا ريب أن المكان الذي انتشرت به العقيدة الدرزية ، هو وادي تيم الذي كانت تقيم فيه قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية في الجاهلية ، حيث قطنت هذا المكان ، واعتنقوا الإ ِسلام ، ولكن المذهب الإ ِسماعيلي انتشر بينهم في أيام الدولة العبيدية ، وكان لاعتناقهم المذهب الإ ِسماعيلي أثر كبير في سرعة استجابتهم للدرزي ، حينما هربه الحاكم إلى هناك ، والتفافهم حوله وتأليههم للحاكم .
وهذا كله يؤكد لنا أن الدروز من القبائل العربية ، مع أن كمال جنبلاط يرجع أصل طائفته إلى هرمس المثلث الحكمة ، ويعترف أن ذلك يعود إلى خمسة آلا ف سنة من التاريخ(7).
ولكي نتابع تاريخ وعقائد طائفة الدروز ، يجب أن نلم بتاريخ وعقائد الطائفة ا لإ ِسماعيلية الباطنية ، والتي استمد الدروز منها الكثير من عقائدهم .
فالمتبع لتاريخ الطائفة الإسماعيلية يجد أن الكثير من الطوائف التي خرجت عن الإسلام وكادت له ، انبثقت وأخذت من هذه الطائفة .
فالقرامطة جزء من الطائفة الإ ِسماعيلية ، حاربوا الدولة الإ ِسلامية عشرات السنين ، وكانت الدولة العبيدية في المغرب ومصر تمدها بالعون المادي والمعنوي .
وكذلك نجد أن أخوان الصفاء كانوا إسماعيليين اعتقادًا وسلوكًا ، ورسائلهم كانت تدوينًا لهذا المذهب ودعوة له في وعاء فلسفي .
وطائفة الدروز التي نحن بصدد دراستها ، سنجد أن الكثير من عقائدها أخذته من عقائد الإ ِسماعيليين .
أما الحشّاشُون الذين ظهروا في زمن صلاح الدين الأيوبي بعد انهيار الدولة العبيدية ، فقد عانى المجتمع الإ ِسلامي الكثير منهم ومن كيدهم حيث كانوا عونًا للتتار والصليبيين على المسلمين ، والذي أود قوله أن الحشاشين

(6) بول هنري بوردو / أمير بابلية لدى الدروز ص 29 .
(7) كمال جنبلاط / هذه وصيتي ص 46 .

فرقة من فرق الإ ِسماعيليين .
هذا قليل من كثير لتاريخ هذه الطائفة ، إذن علينا أن نبدأ مع بداية ظهورها . فالطائفة الإ ِسماعيلية الباطنية ، فرقة من فرق الشيعة ، أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية التي وجدت قبل ظهور الإ ِسماعيلية . (وكان الخلاف في أول الأمر بسيطًا لا يعدو أن يكون حول الإ ِمامة ، ولكنه استفحل بعد ذلك ، وبمضي الزمن أدخلت آراء جديدة وأصول للعقيدة تبعد عما كانت عليه الطائفة قبل خروجها عن حلبة التشيع العامة) (8).
وقد انقسمت الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق(9) لى فرقتين ، فرقة نادت بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق . وسلسلوا الإ ِمامة في الأكبر سنًا من عقبه ، ولذلك لقبوا بالإ ِمامية الأثني عشرية . أما الفرقة الثانية التي تفرعت عن الشيعة فهي فرقة الإسماعيلية ، الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر ، والذي تنسب إليه هذه الفرقة .
((ومُؤَرّخو الإ ِسماعيلية يقولون : إن سبب انشقاق أتباع جعفر إلى هاتين الفرقتين ، أن جعفر نص على أن يتولى إسماعيل الإ ِمامة من بعده ، ولكن إسماعيل توفي في حياة أبيه ، وبذلك انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر ، لأن الإ ِمامة لا تكون إلا في الأعقاب ، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه إلا في حالة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب فقط . أما الأ ئمة بعد الحسن والحسين فلابد أن تنتقل من أب إلى ابن ، وأوّلوا الآية الكريمة { وجعلها كلمة باقية في عقبه } (10). بأن معنى الكلمة هي الإ ِمامة ، وأنها لابد أن تكون في الأعقاب دون غيرهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان محمد بن إسماعيل أكبر سنًا من عمه موسى الكاظم ، فبناء على التقليد الشيعي الذي يوجب تسلسل الإ ِمامة في أكبر أهل البيت سنًا ، كان محمد بن إسماعيل إذن أحق من عمه موسى الكاظم بالإ ِمامة)) (11).
على أن هناك روايات كثيرة تفيد أن جعفر لم يكن راضيًا عن تصرفات ابنه إسماعيل ، ((وأنه قد تبَرّأ من أعمال إسماعيل ، وعزله عن الإمامة ، قبل موت

---

(8) محمد كامل حسين / طائفة الإ ِسماعيلية ص 3
(9) و جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، سادس الأئمة الأثني عشر عند الامامية . كان من أجلاء التابعين ، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب . ولد بالمدينة المنورة سنة 80 هـ وتوفي فيها سنة 148 هـ
(10) سورة الزخرف : آية 28
(11) محمد كامل حسين / طائفة الإ ِسماعيلية ص 12 .

إسماعيل ، لأنه كان مدمنًا على شرب الخمر ولوعًا بالنساء)) (12) .
((غير أن أنصار إسماعيل أنكروا على جعفر هذا التصرف ، وقالوا أن إسماعيل معصوم ، وأنه إن كان قد شرب الخمر فإن هذا لا يفسد عصمته)) (13).
وهناك من المؤرخين المعاصرين من يجعل لهذا التبدل من جعفر نحو ابنه عللا ً وأسبابًا أخرى أهم من شرب الخمر والولوع بالنساء . ((ذلك أن إسماعيل كان من أصدقاء الأسدي الفاسق الملحد(14)الذي ادّعَى ألوهية جعفر – وتنسب إليه الحركة الخطابية – مما جعل جعفر يتبرأ منه وتلعنه ولا يرضى عن الصلة التي كانت بينه وبين إسماعيل)) (15)
وهذا يؤيده ما نقله برنارد لويس أن كنية أبي الخطاب كانت (أبو إسماعيل) . وذلك يشير إلى أن أبا الخطاب كان المتبني لإ ِسماعيل والأب الروحاني له (16).
ومن ادعاءات ومزاعم أبي الخطاب هذا : ((أن الأئمة أنبياء ، ثم آلهة ، وقال بإلهية جعفر ، وإلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه ، والإلهية نور في النبوة ، و النبوة نور في الإ ِمامة ، ولا يخلو العالم من هذه الآثار . وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر وبلية ومشقة ، واستحل الخمر والزنا وسائر المحرمات ، وأباح ترك الصلاة وجميع الفرائض)) (17).
((وادّعى أيضًا التناسخ , وأن الإيمان سبع درجات)) (18)
ونستطيع أن نستنتج من كل هذا ، أن إسماعيل كان ذا صلة وثيقة بالملاحدة والفساق (أمثال أبي الخطاب) ، والذين أوجدوا الفرقة المسماة باسمه ، وبأن عزل جعفر له كان لهذه الصلة الغريبة . (ويعزز هذا الرأي العلاقة القوية التي كانت تربط بين محمد بن إسماعيل وميمون القداح (19)وريث أبي الخطاب)

(12) محمد كامل حسين / طائفة الإ ِسماعيلية ص 13 .
(13) د . مصطفى الشكعة / إسلام بلا مذاهب ص 217 .
(14) هو محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، مؤسس الحركة الخطابية .
(15) الشهر ستاني / الملل والنحل ح ص 15 – ومحمد كامل حسين / طائفة الإ ِسماعيلية ص .
(16) برنارد لويس / أصول الإ ِسماعيلية ص 110.
(17) الشهر ستاني / والملل والنحل ج 2 ص 16.
(18) د . محمد السعيد جمال الدين / دولة الإسماعيلية في إيران ص 20.
(19) هو المؤسس الحقيقي للدعوة الباطنية الإسماعيلية ، مجوسي العقيدة والأصل ، تبنى محمد بن إسماعيل وعلى يديه قامت أسس الإسماعيلية ، والواقع أنه كان ذا دهاء وذكاء استغله بالكيد للإسلام وتحطيم عقيدته.

(20)في الدعوة الباطنية .
ويؤكد المستشرق برنارد لويس على خطورة حركة (أبي الخطاب) ودوره الذي اضطلع به ، فيورد مجموعتين من التصانيف .
أولاهما : (أم الكتاب) وهو كتاب سري مقدس عند الإ ِسماعيليين في آسيا الوسطى (21)، وهذا الكتاب يجعل لأبي الخطاب مقامًا خطيرًا في هذه الحركة فيعتبره مؤسس المذهب إذ يقول : (إن المذهب الإسماعيلي هو ما أوجدته ذرية أبي الخطاب الذين شروا أنفسهم بحب أحفاد جعفر الصادق وإسماعيل) .
وثانيهما : كتابات النصيرية (22) وفيها فقرات وعقائد شبيهة بتلك ، وهي أيضًا تعتبر أبا الخطاب مؤسس الفرقة وميمونًا القداح تابعًا له ، وتعزو إليه أغلب العقائد التي يختص بها المذهب الإسماعيلي (23) .
أما بالنسبة لارتباط الإ ِسماعيلية بالنصيرية ، فإن عارف تامر (الإ ِسماعيلي) ينفي هذا الارتباط أو أي علاقة أخرى ويقول : (ونحن إذ ننفي هذا القول نفيًا قاطعًا نقول : إن النصيرية فرقة من الشيعة الأثني عشرية ، افترقت عن الإ ِسماعيلية بعد وفاة الإ ِمام جعفرالصادق ، فالإ ِسماعيليون تبعوا إسماعيل ، بينما سارت النصيرية وراء موسى الكاظم ، وبعد هذا لم يحدثنا التاريخ عن أي التقاء) (24).
وبعد موت أبي الخطاب تحولت فرقة من الخطابية إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وجعلوه الإ ِمام وأعلنوا ولاءهم له ، فكانت فرقة الإ ِسماعيلية هي الخطابية نفسها ، أو بمعنى أصح نشأت الإ ِسماعيلية من الخطابية) (25).
وهكذا نجد أن أصول الإ ِسماعيلية ترجع إلى الغلاة الملاحدة ، وأن الحركة ا لإ ِسماعيلية استمرار للحركة الباطنية الإ ِلحادية التي خلعت ربقة الإ ِس

(20) برنادر لويس / أصول الإسماعيلية ص 111 .
(21)) والمقصود في شبة القارة الهندية ، حيث ينقسم الإسماعيليون إلى قسمين ، قسم يسمى الإسماعيلية ، والقسم الآخر هم البهرة .
(22) النصيرية : فرقة باطنية ، تعتقد بألوهية علي بن أبي طالب ، وبتناسخ الأرواح حتى إلى الحيوانات ، ويطلق عليهم الآن (العلويين) ويقطن أكثرهم في شمال سوريا في جبل العلويين قرب اللاذقية ، وفي الفترة الأخيرة أخذوا ينزحون إلى أكثر المدن السورية ، وهم أيضا يتسترون على مذهبهم ، ويزعمون أنهم مسلمون .
(23) برنارد لويس / أصول الإسماعيلية ص 104 .
(24)) عارف تامر / القرامطة .
(25)) د . محمد السعيد جمال الدين / دولة الإسماعيلية في إيران ص 21 .

لام من عنقها .
ولقد كان لتزعم الإ ِسماعيلية لحركة الباطنية هذه ، أثر كبير في معتقداتها . حيث تشكلت هذه العقائد وتأصلت في وعاء فلسفي ، والذي يتابع العقيدة الإ ِسماعيلية يمكنه أن يربط بينها وبين الأفلاطونية (26)في أكثر أفاقها .
((فنظرية أفلاطون تقول بأن ما في العالم الحسي أشباح لمثل ما في العالم العلوي ، و الإ ِسماعيلية تقول أن ما في عالم الدين مثل لممثولات في العالم الروحاني)) .
وأيضًا أخذ الإ ِسماعيلية عن الأفلاطونية الحديثة رأيهم في الإ ِبداع ، وظهور النفس الكلية عن العقل الكلي ، وأن العالم خلق بواسطة اللوجوس (الكلمة) (27). فقال الإ ِسماعيلية : إن الكلمة التي خلق عنها العالم هي كلمة (كن) التي وردت في الآية الكريمة { إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون }(28) [يس : 82] . وأن كلمة (كن) مكونة من الكاف والنون ، ف الكاف رمز على القلم أو العقل الكلي ، والنون رمز على اللوح أي النفس الكلية ، ولذلك فسّر الإ ِسماعيلية قوله تعالى { ن والقلم }(29) [القلم : 1] ، أن الله يقسم بأعز مخلوقين عنده وهما اللوح والقلم)) (30).
ولذلك فإن الدكتور محمد البهي يقول عن أفلاطون : (أنه قد وضع بدل الحلول اتصال النفس الكلية بالعالم ، وبدل الاتحاد العودة والرجوع) (31).
والكثير من المؤرخين عندما يذكرون اسم (الباطنية) يقرنونه (بالإ ِسماعيلية) . (وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا ، ولكل تنزيل تأويلا ً) (32).
والتأويل حسب المفهوم الإ ِسماعيلي – وكما يوضحه مصطفى غالب الإ

(26) نسبة إلى أفلاطون ، أحد فلاسفة اليونان المشهورين ، والذي قال أن للعالم محدثا مبدعا أزليا واجبا بذاته ، فأبدع العقل الكلي ، وبتوسط العقل انبعثت النفس الكلية انبعاث الصورة في المرأة .. وبعده بقرون جاء أفلاطون وأخذ مبادئه ودونها وتنسب إليه الأفلاطونية الحديثة .
(27) وكذلك أخذ النصارى مفهوم (الكلمة) التي جاءت في الانجيل وحوروها إلى هذا المفهوم.
(28) يس : 82 .
(29) القلم : 1 .
(30) د . مصطفى الشكعة / إسلام بلا مذاهب ص 247 .
(31) د . محمد البهي / الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص 326 .
(32) الشهرستاني / الملل والنحل ج 2 ص 29 – ومحمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين ج 2 .

إسماعيلي – يختلف تمام الاختلاف عن التفسير ، فالتأويل يقصد به باطن المعنى أو رموزه وإشاراته . وهو من اختصاصات الإ ِمام عليّ والأئمة من بعده إلى يوم الدين) (33).

و الإ ِسماعيلية تنكر صفات الله جميعها الواردة في القرآن الكريم ويقولون : (بأنه لا يصح أن نصف الله بصفات مما نصف بها البشر ، فلا يقال أنه عالم ، وجاهل ، أو أنه موجود ، أو لا موجود ، فإن ذلك يجعلنا نقع في خطأ تشبهه بـ المخلوقات) (34) .

وأيضًا فإن الإ ِثبات الحقيقي للصفات يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات ، وذلك تشبيه ، فلم يمكن الحكم بالإ ِثبات المطلق ، والنفي المطلق ، بل هو إله المتقابلين ، وخالق الخصمين ، والحاكم بين المتضادين) (35).

وهم في سبيل برهان هذه الأقوال يزعمون : (أن النصوص الدينية والآيات القرآنية ، رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة ، وأن الطقوس و الشعائر ، بل والأحكام العملية هي رموز وإشارات وأسرار ، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور ، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة) (36) .

ونعود إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر (الذي اضطر إلى ترك مسقط رأسه المدينة المنورة ، وهاجر إلى خوزستان (جنوب غرب إيران) ، ثم تركها إلى بـ لاد الديلم (جنوب بحر قزوين) ، ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك) (37) .

وبعد اختفاء محمد بن إسماعيل ، تولى أمور الدعوة ميمون القداح ، وميمون هذا مولى جعفر الصادق ، وهو من المتسترين بالتشيع والدعوة لآل البيت ، وقد قبض عليه مع جماعة من أصحابه وسجنوا بالكوفة ، وفي السجن وضع ميمون وأصحابه دعوتهم ، وأسسوا مذهبهم الشهير بمذهب الباطنية ، ولما خرج من السجن ادّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (38).

وحمل الدعوة بعد ميمون ، ولده عبد الله ، وكان مثله في الذكاء ، والبراعة ، و التبحر في المباحث الفقهية والكلامية . والنظريات الفلسفية ، فنظم الدعوة

(33) مصطفى غالب / الحركات الباطنية في الإسلام ص 93 .
(34) دائرة المعارف الإسلامية ج 3 ص 290.
(35) الشهرستاني / الملل والنحل ج 2 ص 29.
(36) د . عبد الرحمن بدوي / مذاهب الإسلاميين ج 2 ص 7 .
(37) محمد كامل حسين / طائفة الإ ِسماعيلية ص 14 .
(38) عبد القادر البغدادي / الفرق بين الفرق ص 266.

الباطنية الإ ِسماعيلية ، وصاغها في تسع مراتب ، ودعا لإ ِمامة آل البيت الذين يزعم الانتساب إليهم . وكان يدّعي علم الغيب والأسرار الروحية ، و العلوم الخفية ، ويزعم أنها انتهت إليه من جده محمد بن إسماعيل بن جعفر) (39).

وهكذا حمل عبد الله بن ميمون دعوة أبيه ونظمها ، واتخذ بلدة (ساباط) (40)مركزًا لدعوته حينًا من الدهر مستترًا بثوب عميق من التشيع والورع و الدعاء لآل البيت . وكان عبد الله بارعًا في طب العيون وعلاجها ، وفي أعمال التنجيم والكيمياء ، وكانت براعته في هذه الشؤون وسيلة للتأثير في العامة . ولما شعر أولو الأمر بخطورته ، هموا بمطاردته ففرّ إلى البصرة ، ومعه حسين ا لأهوازي من أقطاب شيعته ، فلما طورد فرّ مع الحسين إلى الشام ونزل ببلدة (سلمية) (41)، واتخذها مركزًا لدعوته ، وحمل الدعوة بعده ولده أحمد ، وسير الحسين إلى العراق . وكان مجيئه البصرة سببًا في ثورة القرامطة (42) ، وخلف أحمد في حمل الدعوة ابنه الحسين ، ثم أخوه محمد بن أحمد – المعروف بأبي الشلعلع - ، وبعث محمد بدعاته إلى المغرب وعلى رأسهم أبو عبد الله الحسين (43)– المعروف بالشيعي – فنشر الدعوة هناك ، وأخذ يبشر بالإ ِمام المنتظر (44) ثم قام بالدعوة سعيد بن الحسين .

---

(39) عمر الدسوقي / أخوان الصفا ص 20 .

(40) بلدة معروفة بما وراء النهر ، على بعد عشرين فرسخا من سمرقند – انظر ياقوت الحموي / معجم البلدان ج 3 ص 166 وهناك موضع آخر قرب المدائن بالعراق ، ويعرف بساباط كسرى .

(41) بفتح أوله وثانية ، وأصلها تسلم مائة ، ثم حرف الناس اسمها فقالوا : سلمية ، وهي بلدة من أعمال حمص – في سورية – انظر : ياقوت الحموي / معجم البلدان ج 3 ص 240 .

(42) نسبة إلى حمدان القرمطي ، وقد عرف في الكوفة عام 258 هـ ، وأظهر دعوته عام 265 هـ ، ودعوتهم تعد خطوات الإسماعيلية ، ولهم غاية أساسية هي القضاء على ا لإسلام . ولذلك عملوا على إشعال الفتنة في الدولة الإسلامية بمقاتلتها ، وأسسوا دولة لهم بعد مدة من ظهورهم وبقيت فترة طويلة مصدر فتنة حتى قضى عليهم سنة 476 هـ ، انظر : ابن الجوزي / القرامطة ص 13 ومحمود شاكر القرامطة ص 8 .

(43) ويلقب بالمعلم ، وهو الذي مهد الطريق لقيام دولة العبيديين – الفاطميين – بنشر الدعوة الإسماعيلية هناك ، حتى جاء عبيد الله المهدي وأقام الدولة عام 296 هـ ، وقد قتله المهدي نفسه عام 298 هـ .

(44)) عقيدة رئيسية وهامة عند كل فرق الشيعة ، والإمام في نظرهم معصوم عن الأ خطاء ، ولا شك في كون هذا المعتقد سببا رئيسيا في بقاء الشيعة إلى الآن ، وكذلك كان سببا لظهور الفتن بادعاء كثيرين أنهم الإمام.

ويقول بعض المنكرين لنسبهم إلى السيدة فاطمة الزهراء ، (إن سعيدًا هذا ليس ولد الحسين ، وإنما هو ولد زوجته اليهودية ، رباه ولقنه أسرار الدعوة واختاره للزعامة والإمامة من بعده) (45).
وسعيد هذا هو الذي فرّ إلى المغرب وتسمى بعبيد الله المهدي ، وأسس دولة العبيديين أو الدولة الفاطمية ، ومن هناك استطاع أحد ملوكهم وهو المعز أن يفتح مصر سنة 359 هـ ، ويتخذها مركزًا للدولة .
ولكن فخر الدين الرازي يأتي برواية أخرى عن نسب هؤلاء ويقول : (إنه لما هرب محمد بن إسماعيل إلى مصر مع عبد الله بن ميمون القداح ، كانت لكل منهما جارية ، قد حملتا منهما ، فلما مات محمد بن إسماعيل قتل ابن القداح جارية محمد بن إسماعيل أيضًا . فلما ولدت جاريته قال للناس : إنه قد ولد لمحمد بن إسماعيل ابن ، ولما كبر ، علمه الزندقة ، وقال للناس إن الإمامة صارت من محمد إلى ابنه هذا) (46).
والمهم هنا أن كثيرًا من المؤرخين يشك في نسب هؤلاء ، وذلك ما تؤكده دعاويهم ومزاعمهم بالعصمة ومعرفة الغيب والتأويل وغير ذلك .
وينقل الدكتور عبد العزيز الدوري عن المستشرق دوزي في مقدمته لكتاب (أصول الإسماعيلية) ، (أن عبد الله بن ميمون كان فارسيًا في الصميم ، ينظر إلى آل علي كنظرته إلى سائر العرب ، وإنما استخدمهم وسيلة لتحقيق غاياته) .
وكان يعتقد أن إنشاء دولة علوية لن يحقق للفرس شيئًا ، ولذا فإنه لم يبحث عن أنصاره الحقيقيين بين الشيعة ، بل بين المانوية (47)، والكفار ، ووثني حران (48)، وأهل الفلسفة اليونانية (49).
ولهؤلاء وحدهم يمكن الإفضاء تدريجيًا بالسر ، وهو أن الأئمة والأديان والأخلا

---

(45) ابن تغري بردى / النجوم الزاهرة ج 4 ص 75 ومحمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله ص 32 .
(46) فخر الدين الرازي / اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص 77 .
(47) أصحاب ماني بن فاتك ، وهي من ديانات فارس ، وأخذت أصولها عن المجوسية والنصرانية وتؤمن بأن العالم مصنوع من مركب من أصلين قديمين ، أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان . انظر الشهرستاني / الملل والنحل ص 81 ج 2 .
(48) بتشديد الراء ، وهي على طريق الموصل والشام ، وتطلق أيضًا على قريتين بالبحرين ، وعلى قرية بغوطة دمشق ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ص 235 ، 236 . وتعتبر مجمع بقايا الديانات من الصابئة والنصارى وغيرهم . وهي في شمال شرق تركيا الآن .
(49) والمقصود أتباع فلاسفة اليونان مثل أرسطو وأفلاطون وغيرهم .

اق ليست إلا ضلالا ً وسخرية . أما بقية الناس – أو الحمير – كما يسميهم عبد الله ، فليسوا بقادرين على فهم هذه المبادئ .
ولكنه في سبيل التوصل إلى غايته لم يستهن بمساعدتهم ، بل كان يلتمسها ، ولاحظ أن يحشد المؤمنين في المراحل الأولى للدعوة ، وكان دعاته – الذين أفهمهم بأن أول واجباتهم إخفاء حقيقة ميولهم ومجاراة عقائد من يدّعون – يظهرون في أثواب مختلفة ، ويكلمون كل شخص بلغة خاصة ، فيجذبون العامة الجاهلين البسط لشعوذات يجعلونها تظهر كمعجزات ، أو بأحاديث مبهمة خفية تثير حب استطلاعهم ، ويتظاهرون أمام المؤمنين بمظهر الفضيلة والتعبد ، ويتظاهرون بالتصوف أمام الصوفية ويشرحون المعاني الخفية للأمور الظاهرة) (50) .
ولذلك فإن الدعوة الإ ِسماعيلية صادفت هوى في نفوس – بعض أفراد من جماعات مختلفة في العنصر والدين ، ليكيدوا من خلالها للإ ِسلام .
ومن ثم وجد الزرادشتية (51)، والمانوية ، والمزدكية (52)، والصابئة (53)، واليهود ، والنصاري ، - وغيرهم في المذهب الإ ِسماعيلي كل ما يهدفون إليه من هدم لأركان الإ ِسلام - ، وقد قلد الإ ِسماعيلية في ذلك جماعة العيسوية الأصفهانية اليهودية (54)، التي كانت تنادي بصحة نبوة موسى

(50)) برنادر لويس / أصول الإسماعيلية ص 12 ، 13 – وانظر ما قاله ابن الجوزي في القرامطة ص 51 ، 52 ، 53.
(51) أصحاب زرادشت بن بورشب ، وزعموا أن الله عز وجل خلق من وقت ما في الصحف الأولى ، وأنه جعل روح زرادشت في شجرة أنشأها في أعلى عليين ، وأن النور والظلمة متضادان ، وقد أتبعه الملك بشتاسب ، وقهر الناس على اتباعه ، وبنى في عهده بيوت النيران . انظر الشهرستاني / الملل والنحل ج 2 ص 77.
(52) أصحاب مزدك ، وقولهم كقول المانوية في الكونين والأصلين ، إلا أن مزدك يقول أن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق . ويدعون أيضًا إلى شيوعية المال والنساء لأنهما سبب الشرور . انظر الشهرستاني / الملل والنحل ج 2 ص 86 .
(53) قوم يقولون أن مدير العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب . انظر كتاب فخر الدين الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص 90 .
(54) أتباع أبي عيسى بن يعقوب الأصفهاني ، وهم فرقة يهودية يثبتون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن إلى العرب فقط ، وكانوا أيضا يوجبون تصديق المسيح ، وقد حرموا الذبائح كلها ، وخالفوا اليهود في أكثر أحكامهم . انظر الشهرستاني في الملل والنحل ج 2 ص 55 / والفخر الرازي في اعتقادات فرق المسلمين و المشركين ص 83 .

ومحمد عليهما السلام) (55).

وخير تعبير عن هذا نجده في رسائل أخوان الصفاء (56)، ومنها نقتبس الفقرة التالية ، التي تمثل النعمة العامة للحرية الدينية : (وينبغي لإ ِخواننا – أيدهم الله – أن لا يعادوا علماً من العلوم ، أو يهجروا كتابًا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم جميعها) (57).

هذه هي وسيلتهم في نشر مذهبهم الباطني ، أما عن عقائدهم ، فإنها تقوم كما ذكرت على : (تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الصفات ، والأسماء ، فهو ليس أيسًا (58)، ولاليسًا (59)، لأنه ليس من جنس العقول ، وليس بجسم حتى يراه البصر .

وأنه سبحانه أبدع العقل الكلي الذي أطلق عليه الفاطميون اسم السابق واسم المبدع الأول ، واسم القلم - ، ثم بواسطة المبدع الأول وجدت النفس الكلية التي أطلقوا عليها اسم التالي ، واسم المبدع الثاني ، واسم اللوح المحفوظ . وبواسطة السابق الثاني وجدت المخلوقات كلها العلوية والجسمانية ، وتمسكوا بالحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : (أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، وقال له : أدبر فأدبر ، فقال : بعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا هو أعز منك ، بك أثيب ، وبك أعاقب) (60) .

وذهبوا إلى أن العقل هو أرفع مبدعات الله وأقربهم إليه ، وهو عندهم الخالق

---

(55)) د . حسين إبراهيم / طه أحمد شرف – عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإ سماعيلية ص 292 – بتصرف - .

(56) جماعة ظهرت في منتصف القرن الرابع الهجري ، باطنية إسماعيلية تأثرت بـ الشيعة والفلسفة والوثنية ، كتبوا هذه الرسائل . ولكن الإسماعيليين في الوقت الحاضر يزعمون أن مؤلفها إمام مستور من أئمتهم هو أحمد بن عبد الله بن محمد ، وينسبونها إليهم.

(57) رسائل أخوان الصفاء / الرسالة رقم 45 / ج 4 ص 105.

(58) والمقصود أنه ليس موجودا مثل سائر الموجودات المخلوقة ، متعلق بغيره مستند في وجوده إلى آخر .

(59) والمقصود أنه لا معلوم بدون علة ، والموجودات يستند وجودها إلى موجود آخر وهكذا تستند هذه الموجودات إلى (الله) ، إذ لو كان ليسا ، لكانت الموجودات أيضا ليسا ، فلما كانت الموجودات موجودة كان ليسيته باطلة . انظر الكرماني / راحة العقل .

(60)) حديث موضوع ، والصحيح ما رواه أحمد والترمذي (أول ما خلق الله القلم) . انظر العجلوني في ((كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث)) ج 1 ص 263 .

الحقيقي ، وأولوا أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في القرآن الكريم إلى أنها أسماء وصفات العقل الكلي هذا) (61).
فلذلك فإن معبـود الإ ِسماعيلية الحقيقي هو العقل ويعتبرونه الصورة الخارجية لله ولهذا يقولون :
(إذا كان لا يصلى لكائن لا يدرك ، فإن الصلاة تتجه نحو صورتها الخارجية وهي العقل) (62).
و الإ ِسماعيلية يسمون العقل (الحجاب) أو (المحل) أو (الصلة) ، ولبلوغ السعادة عندهم ينبغي على الإ ِنسان تحصيل العلم ، ولا يمكن تحصيل السعادة التي هي العلم إلا بحلول العقل الكلي في إنسان هو النبي ، وفي الأئمة الذين يخلفونه .
والعقل الحال يسمى (ناطقًا) ، والنفس الحالة تسمى (أساسًا) ، والناطق هو النبي الذي يبلغ الكلام المنزل ، و (الأساس) هو الإ ِمام الذي يفسره (أي الكلام المنزل) معتمدًا على التأويل ، ولذلك يقولون : إن محمدًا هو الناطق ، وعليًا هو الأساس) (63).
ويقول الدكتور محمد كامل حسين : (وبتطبيق نظرية (المثل والممثول) نستطيع أن نعرف ، أن الإ ِمام الفاطمي هو ممثل للعقل الكلي ، وأن جميع مناقب وصفات العقل الكلي تطلق على الإ ِمام ، فهو الواحد الأحد ، والفرد الصمد ، المحيي والمميت) (64).
وأن الإ ِمام هو (وجه الله) و (يد الله) و (جنب الله) ، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار .
وأنه هو (الصراط المستقيم) و (الذكر الحكيم) و (القرآن الكريم) إلى غير ذلك من الصفات .
ولهم في ذلك كله أدلة – كما يزعمون – يسوقونها لكل صفة من الصفات ، فمثلا ً يقولون : إن الإ ِنسان لا يعرف إلا بوجهه ، ولماكان الإ ِمام هو الذي يدل العالم على معرفة الله ، فبه إذن يعرف الله ، فهو وجه الله ، أي الذي به يعرف الله .
وأن اليد هي التي يبطش بها الإ ِنسان ويدافع بها عن نفسه ، والإ ِمام هو الذي يدافع عن دين الله ويبطش بأعدائه ، فهو على هذه المثابة يد الله .

(61) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 87 .
(62) محمد كرد علي / خطط الشام ج 6 ص 257 .
(63) د . مصطفى الشكعة / إسلام بلا مذاهب ص 236 .
(64) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 87 .

وهكذا يقولون عن بقية الصفات التي خلعوها على الإِمام (65) .
وتتفرع من هذه العقيدة آراء أخرى ، نذكر منها : (انبعاث العقول الروحانية من العقل الكلي والنفس الكلية ، وأهم هذه العقول هي تلك التي أطلقوا عليها : الجد ، والفت : والخيال . وهؤلاء عندهم الملائكة الروحانية الذين يعرفهم العالم الإِسلامي باسم إسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل ، وهؤلاء مع العقل الكلي والنفس الكلية يكونون الأشباح الخمسة العلوية أو الحدودية العلوية ، وجعلوهم ممثولات للقائمين على الدعوة الإِسماعيلية .
فالعقل الكلى (السابق) ممثولاً للناطق في عصره ، والوصي والإِمام و النفس الكلية (التالي) ممثولاً للوصي في حياة الناطق أو باب الأبواب .
والجد : ممثول للحجة .
والفتح : ممثول للداعي المأذون .
والخيال : ممثول للداعي المكالب (المكاسر) .
ومن ثم جعل الفاطميون مراتب الدعاة من المراتب الروحية التي تقام عليها دعوتهم ، وعلى كل من يعتنق مذهبهم أن يعترف بهؤلاء الدعاة ، على أن يكون هذا الاعتراف من صميم العقيدة . وتجب طاعتهم طاعة عمياء وتصديق كل ما يقولون ، والاقتداء بما يفعلون ، وأطلقوا على هؤلاء الدعاة اسم الحدود الجسمانية ، إمعانًا في تقديسهم ورفع شأنهم) (66).
وينقل مصطفى غالب (الإِسماعيلي) عن الداعي حميد الدين الكرماني (67) مراتب الدعوة كما يلي :
1 – الناطق : وله رتبة التنزيل .
2 – الأساس : وله رتبة التأويل .
3 – الإِمام : وله رتبة التأويل .
4 – الباب : وله رتبة فصل الخطاب .
5 – الحجة : وله رتبة الحكم فيما كان حقًا أو باطلاً .
6 – داعي البلاغ : وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .

---

(65) محمد كامل حسين / طائفة الإسماعيلية ص 157 .
(66) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 88 .
(67)) أحمد بن عبد الله الكرماني حميد الدين ، ويلقب بحجة العرافين ، من دعاة الإسماعيلية وكتابهم . كان داعي الدعاة للحاكم بأمر الله الفاطمي ، له رسالة (مباسم البشارات بالإمام الحاكم) يرد بها على الذين ألهوا الحاكم من الدروز ، وله أيضا مجموعة رسائل أخرى ، توفي بعد سنة 412 هـ . انظر الأعلام للزركلي ج 1 ص 149 وديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ص 9 .

7 – الداعي المطلق : وله رتبة تعريف الحدود العلوية ، والعبادة الباطنية .
8 – الداعي المحدود : وله رتبة تعريف الحدود السفلية ، والعبادة الظاهرة .
9 – المأذون المطلق : وله رتبة أخذ العهد والميثاق .
10 – المأذون المحدود : وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة ، ويعرف بـ المكاسر .
11 – لاحق . 12- جناح ، ولهما رتبة مؤازرة المأذون المحدد والقبام بمهمته أثناء غيابه (68).

والإ ِسماعيلية يعظمون هؤلاء الدعاة ويجلونهم ويزعمون : (أن هؤلاء الدعاة كانوا مع النطقاء والأئمة في كل دور من الأدوار الكبرى والصغرى ، وذلك أنهم يعتقدون بظهور الأنبياء والأئمة في صور متعددة ، ولكن أصلهم واحد ، فآدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وعيسى ، ومحمد ، وهم الأنبياء عند الفاطميين ظهروا في هذه الصور الآدمية المختلفة وفي عصور متفاوته ، ولكنهم جميعًا شخص واحد في الحقيقة .

ولما كان أوصياؤهم وأئمتهم في كل دور ورثة الأنبياء ، ولهم كل خصائص الأ نبياء ، فهم والأنبياء شخص واحد ، فالجميع مثل للعقل الكلي ، ففكرة التناسخ ظهرت في العقيدة الفاطمية في صورة جديدة هي (نظرية الدور) ، وكان لهذه الفكرة أثر كبير عند الدروز . والدور الكبير – في نظرهم – هو الدور الذي من ظهور بآدم (النبي) الناطق ، وظهور قائم القيامة (المهدى المنتظر) ، لأن آدم عندهم ليس أول الخلق بل هو أول ناطق في دوره) (69).

(وإنما كان قوم عاش آدم بينهم ، وآدم هذا كان له حجة ، رمز القرآن إليه (بحواء) ، فحواء هذه لم تك أنثى ولم تتزوج بآدم ، وإنما كانت أقرب دعاته إليه ، وكان كلاهما ينعم في دعوة الإ ِمام الذي كان سابقًا لآدم ، وكانت دعوته إسماعيلية ، وهي التي عبر عنها القرآن (بالجنة) ، ثم تطلع آدم إلى مرتبة أعلى فأخرجه الإ ِمام من الجنة أي (الدعوة) (70) .

أما الأدوار الصغرى في نظرهم (فهي التي بين ظهور ناطق وناطق ، فالدور الذي بين ظهور آدم ، وظهور نوح هو الدور الصغير لآدم ، ونحن الآن في دور محمد وسينتهي دوره بظهور قائم القيامة ، وكذلك ينتهى دور آدم الكبير ،

---

(68) مصطفى غالب / الحركات الباطنية في الإسلام ص 121 ، 122 وانظر دولة الإ سماعيلية في إيران ص 35 .
(69) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 89 – وسنجد ذلك فيما بعد عند التحدث عن عقائد الدروز أثر هذه النظرية في عقائدهم وكيف استمدوها من الفاطميين ؟ .
(70) د . مصطفى الشكعة / إسلام بلا مذاهب ص 246 .

ويأتي بعده دور آدم آخر .
ولأثبات أن ما حدث في دور كل نبي ، حدث مثله في جميع الأدوار الأخرى :
فمثلا ً قصة الطوفان في التأويل الباطن عند الفاطميين تدل على كثرة الأضداد المخالفين لمن أقامه اللّه وصيًا لنوح وتغلبهم عليه ، وأن المؤمنين هم الذين اتبعوا الوصي الذي رمز إليه (بسفينة نوح) ، وفي كل دور من أدوار النطقاء ، ظهر هذا الطوفان وجرت السفينة .
وبهذا يؤولون الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق في الطوفان) .(71)
وللأعداد والحروف وحساب الجمل في عقيدة الإ ِسماعيلية أصول دينية واسعة ولهذا فقد :
اتخذ الإسماعيلية الأعداد أصولا ً دينية يثبتون بها عقيدتهم في الإ ِمامة ، وجعلوا محور المذهب يقوم على العدد سبعة (72)، أما ما دون ذلك فيقوم على العدد (اثني عشر) ، وهم يستدلون على ذلك بأمور منها : أن اللّه تعالى خلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة ، وجعل أيضًا السموات سبعا ، والأرض سبعًا ، والبروج اثنى عشر ، و الشهور اثنى عشر ، ونقباء بني إسرائيل اثنى عشر) (73).
وكذلك أول الإ ِسماعيلية الفرائض والأركان تأويلا ً خاصًا (74)، (فالنية للصلاة هي ولاية الأئمة ، والطهارة هي أخذ علم الباطن لتطهير النفوس ، والصلاة هي الدعوة الفاطمية ، والكعبة هي الإ ِمام الذي يتوجه إليه المستجيبون) (75).
وهكذا جعل الإ ِسماعيليون لكل فريضة وركن تأويلا ً باطنًا لا يعلمه إلا الأئمة وكبار الدعاة .
ومن هذا التعريف السريع بعقائد الإ ِسماعيليين ، نستطيع بعدها أن نصل إلى طائفة الدروز ، لنعرف كيفية قيامها ، ومن أين استقت عقائدها ؟ .

(71) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 89 ، 90 .
(72) وهذا الاعتقاد سنجد أثره أيضا في عقائد الدروز ، عند تحدثهم عن الأدوار السبعة .
(73) د . محمد السعيد جمال الدين / دولة الإسماعيلية في إيران ص 27.
(74) وأيضا أول الدروز كل هذه الأركان ، بل نقضوها ، في إحدى رسائل حمزة واسمها (النقض الخفي) ، والتي أوردتها فيما بعد .
(75) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 91 .

– 3 -

ذكرنا فيما سبق ، كيف استطاع عبيد الله المهدي أن يؤسس الدولة العبيدية في المغرب (76)، بدعوى أنه من نسل آل البيت ، حيث استطاعت هذه الدولة أن توطد أركانها هناك ، وتتطلع إلى فتح مصر ، وتم لها ذلك على يد القائد الفاطمي جوهر الصقلي عام 358 هـ في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، وبقي المعز على سدة الملك حتى توفى سنة 365 هـ . وخلفه ولد العزيز بالله الذي بقي في الملك إحدى وعشرين سنة حتى توفي عام 386 هـ ، وهو في طريقه لمحاربة الخارجين على الدولة بالشام . فخلفه ولده وولي عهده أبو علي منصور ، ولقب بالحاكم بأمر الله ، وكان عمره آنذاك أحد عشر سنة ، حيث عهد والده إلى ثلاثة من كبار رجال الدولة برعايته وتولى شؤون الدولة ، وبقي الأمر كذلك حتى سنة 390 هـ حينما استطاع الحاكم قتل أحد الأوصياء عليه ، وتولى منذ ذلك الحين زمام الأمور هناك (77).

وقد بدأ الحاكم حكمه بقتل عدد من كبار رجال الدولة ، وإصدار سجلات غريبة شاذة يحرم فيها أشياء كثيرة ، ثم يعود بعد ذلك إلى إباحتها بشكل متناقض . واتبع ذلك بقتل الكثير من خدم قصره والكتبة ومن عامة الناس . وكان كل هذا تمهيدًا لإعلان ما يعتلج في نفسه من ادعاء بالربوبية (78).

والحاكم بأمر الله ، هو محور عقيدة الدروز ، وقد أنشأ سنة 395 هـ معهدًا رسميًا خاصًا لبث الدعوة الفاطمية السرية ، ويكون مركز الإعداد والتوجيه ، وسماه : (دار الحكمة) ، ولهذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه الفلسفي الذي أريد أن يتخذه هذا المعهد ، وقد استقطبت هذه الدار الدعاة الفاطميين من كل مكان) (79).

فاحتشد في ذلك الوقت طائفة من الدعاة الملاحدة ، فالتفوا حول الحاكم بأمر الله ، وزينوا له فكرة (ألوهيته) ، مما جعله وراء هذه الدعوة يرعاها ، ويرقب تطوراتها ، ويتصرف على ضوئها .

ومع أن بداية الدعوة إلى ألوهية الحاكم ظهرت بشكل جلي سنة 408 هـ ، إلا

---

(76) تأسست هذه الدولة – كما ذكرنا سابقا – سنة 296 هـ على يد عبيد الله المهدي في المغرب ، وسقطت سنة 567 بعد موت العاضد الفاطمي على يد صلاح الدين الأيوبي – انظر الروضتين في أخبار الدولتين ج / ص 193 .

(77) انظر القرماني في أخبار الدول وآثار الأول ص 189 – 191 ، وكذلك العصامي المكي في سمط النجوم العوالي ج 3 ص 414، 415 ، 424 .

(78) انظر المصدرين السابقين ، الأول ص 191 ، والثاني ص 424 – 429.

(79) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 164 .

أن الدكتور محمد كامل حسين يذكر : (أن هناك نصوصًا من رسائلهم تفيد أن الحاكم أظهر ألوهيته أول مرة سنة 400 هـ) (80).
ويقول مصطفى غالب (الكاتب الإسماعيلي المعاصر) : (بأن حمزة بن علي بن أحمد الزوزني (81)، وفد على مصرسنة 405 هـ ، وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يختلفون إلى دار الحكمة لحضور مجالس الحكمة التأويلية . وما عتم أن أصبح ممثلاً لدعاة الفرس ، وهمزة وصل بينهم وبين الحاكم بأمر الله ، الذي ضمه إلى حاشيته ، وأسكنه في قصره . ويضيف قائلاً : وفي بعض الوثائق الإسماعيلية السرية ما يشير إلى أنه أصبح من الدعاة الذين يكونون دائمًا في معية الإمام ، ولا يفارقون مقر قيادته أبدًا . وسرعان ما أصبحت له حظوة عند الحاكم ، بعدما أظهره من إخلاص ، وما بذله من جهد في تقوية أواصر الدعوة وتركيز دعائمها في فارس كما أنه ساهم مساهمة فعالة في خوض غمار الجدل الديني ، وفلسفة المذهب الذي يبشر به ، واستطاع أن يجمع حوله بعض الدعاة ، ويتفقوا سرًا للدعوة إلى تأليه الحاكم بأمر الله ، معتمدًا في دعوته هذه على أصول وأحكام جديدة استنطبها من صميم الأصول والأحكام الإسماعيلية) (82).
وكان على رأس هؤلاء الدعاة الذين التفوا حول حمزة : محمد بن إسماعيل الدرزي (83)، والحسن بن حبيدرة الفرغاني (84)، والظاهر من رسائل الدروز ، أن حمزة ابن علي – وكما يتضح من رسائله – قد اتفق مع دعاته ألا يجهرُ أحد أو يكشف عن مضمون المذهب ، إلا بعد تلقى الأوامر من حمزة نفسه ، ولكن الداعي الدرزي المعروف (بنشتكين) تسرع في الكشف عن أسرار الدعوة ، مما أثار حفيظة حمزة وغضبه ، ومما دفع عامة الناس لمحاربة

(80) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 75 .
(81) المؤسس الرئيسي لمذهب الدروز ، من كبار الدعاة الباطنيين ، ومن أكثرهم التصاقا بالحاكم بأمر الله ، توفي على الأرجح سنة 433 هـ ، وسيفصل الكلام عنه عند الكلام عن دعاة الدروز / انظر الأعلام للزركلي ج 2 ص 310 .
(82) مصطفى غالب / الحركات الباطنية في الإسلام ص 241.
(83) أحد أصحاب الدعوة لتأليه الحاكم ، وإليه نسبة الطائفة الدرزية ، مع أن الدروز يتبرأون منه بسبب انشقاقه عن حمزة ، تركي الأصل على الأرجح ويقال فارسي ، هرب إلى الشام بعد مهاجمته من قبل الناس ، ومات هناك سنة 411 هـ . انظر الأعلام للزركلي ج 6 ص 259
(84)) أحد الذين جاهروا بتأليه الحاكم بأمر الله ، وهو الذي سلم القاضي ابن العوام رفعة تطلب منه الاعتراف بألوهية الحاكم ، وقد قتل على يد أهل السنة عام 409 هـ . انظر النجوم الزاهرة ج 4 ص 183 .

الدعوة الجديدة ، ومحاولة الأتراك أنفسهم – الذي ينتسب إليهم الدرزي – قتله ، لولا حماية الحاكم له ، حيث فر إلى قصر الحاكم ، وهربه من هناك إلى بلاد الشام ، فدعا إلى المذهب الجديد ، واستمال الكثير من سكان وادي تيم (85)الذي نزل فيه ولكنه انحرف بعد ذلك عن مبادئ حمزة ، مما دفع – حمزة – إلى الأمر بقتله . ورغم قتله إلا أن تعاليم الدرزي كانت على درجة من الإغراء في إتباعها ، وهكذا فالإنقسام لم يستأصل بتاتًا ولم يزل الدروز حتى اليوم قسمين ، ومع أنهم جميعهم متفقون في الاعتقاد بالحاكم وحمزة فمنهم من هم عاملون بموجب تعاليم حمزة ، ومن هم عاملون بموجب تعاليم الدرزي المتساهلة (86).

(وأما حمزة ، فقد هاجمه الناس أيضًا في مقر إقامته في مسجد ريدان ، وكان معه اثنا عشر رجلا ً فقط ، وكادوا يقتلونه لو لم يصدر أمر الحاكم بوقف القتال) .

ويبدو أن الخلافات ما بين حمزة والدرزي إنما كانت بسبب زعامة المذهب وقيادته (87).

أما الداعي الآخر الحسن بن حيدرة الفرغاني ، المعروف بالأخرم أو الأجدع ، (فقد كان يبعث بالرقاع إلى الناس يدعوهم فيها إلى العقيدة الجديدة ، وكان يطلب من العلماء وكبار الدعوة أجوبة على رقاعه ، مما جعل الحاكم أن يخلع عليه ويركبه فرسًا مطهمًا ، ويسيره في موكبه ، ويوليه عطفه ورعايته . غير أنه لم تمض على ذلك عدة أيام حتى وثب على الفرغاني رجل من السنة وقتله وقتل معه ثلاثة رجال من أتباعه ، بينما كان يسير معهم بالقاهرة ، فغضب الحاكم بأمر اللّه ، وأمر بإعدام قاتله ، ودفن الأخرم على نفقة القصر) (88).

وممن كتب إليهم الأخرم : (الداعي الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني ، يعرض عليه نظريته الجديدة ، فرد عليه الكرماني في رسالة عنوانها (الرسالة الواعظة) ، ومما طرحه – الأخرم – من ألقاب وصفات على الحاكم قوله : (من عرف منكم إمام زمانه حيًا فهو أفضل ممن مضى من الأمم من نبي أو وصي أو إمام ...وأن من عبد اللّه من جميع المخلوقين ، فعبادته

(85) هو ما يعرف الآن بالشوف وكذلك المناطق المجاورة لها في لبنان .
(86) تشارلز تشرشل / بين الدروز والموارنة ترجمة فندي الشعار ص 15 .
(87) مصطفى غالب / الحركات الباطنية في الإسلام ص 244 .
(88) المصدر السابق ص 245 .

لشخص لا روح فيه ... وقد قامت قيامتكم ، وانقضى دور ستركم ...) (89).
وبعد اختفاء الدرزي ، والأخرم ، صار أمر الدعوة كله إلى حمزة بن علي ، ولقب نفسه بعدة ألقاب مثل (هادي المستجيبين) و (قائم الزمان) إلى غير ذلك من ألقاب يجدها الباحث في رسائله ، التي تتضمن أصول وعقائد دعوته .
هذا وصف موجز لبداية نشأة الدروز ، وفي ظل هذه الأجواء والمعتقدات الإلحادية انبثقت عقيدتهم ، فكانت – عقيدتهم – تعطي بالفعل انطباعًا تامًا عما يحاك لعقيدة الإسلام من فتن ومؤامرات .
ويمكننا أن نقدم ملخصًا للأصول والقواعد التي يقوم عليها مذهبهم – حتى اليوم – لنستطيع من خلاله أن نتعرف على عقيدتهم :
فهم على ما دعا إليه حمزة منذ أكثر من تسعة قرون ينكرون الألوهية في ذاتها ، ويعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله ، وفي رجعته آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعًا .
بيد أنهم ينتسبون ظاهرًا إلى الإسلام ، ويتظاهرون أمام المسلمين بأنهم مسلمون (90)، وذلك لأنهم عاشوا في وسط إسلامي ، ودول مسلمة ، غير أنهم يتظاهرون أمام النصارى أيضًا بأنهم قريبون منهم ، لأن المسيح في نظرهم هو حمزة بن علي .
وهم الآن في الأرض المحتلة (إسرائيل) يتظاهرون بالتقرب إلى اليهود ، وقد رأينا أيضًا كبار مفكريهم المعاصرين يحجون إلى الهند متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند .
والحقيقة أنهم يبغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ، ولاسيما المسلمين ، ويعتقدون أن الشياطين هم باقي الملل ، وأن العقال (91)هم الملائكة ولا يأخذون بشيء من أحكام وعبادات الإسلام ، كالصلاة ، والصوم ، و الزكاة ، والحج ، بل ينكرون أصول الإسلام جميعها ، والشريعة الإسلامية كلها .
وقد جعل الدروز بدل أركان الإسلام ، سبع خصال توحيدية ، وهم يعتقدون

---

(89) المصدر السابق ص 246 .
(90) ولكنهم في الوقت الحاضر ، وبسبب تغيير الظروف . يحاولون جهدهم في الابتعاد عن لفظ (الإسلام) ويبرزون تسمية أنفسهم بـ (الموحدين) .
(91) لفظ يطلقه الدروز على مشايخهم ودعاتهم . وهم الذين يعرفون أسرار العقيدة الدرزية ، ولا يسمحون لغيرهم بالاطلاع عليها ، والمجتمع الدرزي ينقسم إلى قسمين عقال ، وجهال ، فالجهال لا يعرفون شيئا من مذهبهم إلا الأمور الرئيسية فيه ، ولا يدخل أحدا منهم في العقال إلا بعد امتحان طويل .

بتناسخ الأرواح ، وانتقالها إلى الأجساد الإِنسانية ، ويقولون في القرآن الكريم ، أنه من صنع سلمان الفارسي ، وكذلك فإنهم لا يعتقدون بالجنة والنار ، والثواب والعقاب . وإنما يكون الثواب بانتقال النفس إلى منزلة أرفع حينما تنتقل من جسد إلي جسد ، ويكون العقاب بتدني منزلتها .

بل أنهم يرجعون أصول مذهبهم إلى مسالك الحكمة والعرفان المتقدمة في أدوار التاريخ حيث يقول كمال جنبلاط (92)في مقدمته لكتاب (أضواء على مسلك التوحيد – الدرزية) : (وفي رأينا أنه لا يمكن النظر إلى مسلك التوحيد منفصلاً ومستقلاً عن مسالك الحكمة والعرفان المتقدمة في أدوار التاريخ المعروف والمجهول ، والتي عمرت بها حياة المؤمنين الأولين الموحدين في مصر الفرعونية القديمة وفي الهند ، وإيران ، وبلاد التبت ، وما وراء الواحات ، وفي بابل وأشور وفي اليونان وجزر البحر الأبيض المتوسط وعلى انفراج شواطئه ، ثم بعد ذلك في الإِسلام مرورًا بالنصرانية الأولى ، وما قبلها (93)، فيما تكشف عنه مغاور البحر الميت في فلسطين (94)، وبالمذاهب العرفانية التي انتشرت في كل صقع من صقاع العالم القديمة ، ف الحكمة لا تنفصل ، في أي زمان أو مكان) (95).

ولم يقف جنبلاط ، وهو الدرزي المثقف عند هذا الحد ، بل أرجع أصول هذا المذهب إلى حكماء الهند حيث يقول : (ومن أغرب ما عثرنا عليه في هذه المخطوطات ، صلة هذا المسلك التوحيدي بحكماء الهند والسند ، وكنا نعتقد و لا نزال أن الحكمة واحدة في كل مثوى وزمان ، لا تتجزأ ولا تختلف في الجوهر ، لوحدة الحقيقة ، ووحدة الكشف عنها ، ووحدة الروح و العقل البشري .

وكنا نعلم ارتباط الموحدين بحكماء الهند ، وتقديرهم إياهم وتنويههم ببعض هذه الوجوه المباركة ، وكنا خاصة تتبعنا قصة كتاب (بلوهر الحكيم) ، المنتشر بين الموحدين وهو من كتب وعظهم ، وإذا بالموحدين ، على حق فيما يعتقدون بأنهم في هذه الديار ، هذا الوجه الباطن الظاهر للحكمة الإ

(92) زعيم درزي معاصر ، وهو من السياسيين اللبنانيين ، معروف بثقافته واطلاعه على ديانات الهند القديمة ، ويحاول كثيرا أن يقارب بينهما وبين عقيدة الدروز ، وقد قتل في لبنان عام 1397 هـ 1977 م .
(93) يعني اليهودية ، غير أنه تجنب ذكر اسمها لأسباب سياسية محلية .
(94) مع أن ما نشر عن أوراق البحر الميت لا يدل على شيء من ذلك.
(95) د . سامي مكارم / أضواء على سلك التوحيد (الدرزية) ص 26 .

إنسانية الشاملة) (96).
هذا ملخص لمذهب الدروز ، وإنها لصفحة من أغرب صفحات الثورة على الإ ِسلام ، بل وعلى العقل والمنطق ، وأشدها غلوًا وإغراقًا .
وفي بداية حديثنا عن هذا المذهب ، لابد لنا أن نستجلي غوامض شخصية الحاكم بأمر الله ، تلك الشخصية التي كانت وراء دعاة هذا المذهب ، يرعاهم بِ المال والرجال ، فدعونا نتعرف على هذه الشخصيّة وآرائها ، وآراء دعاته ، وهو عنوان الباب الأول .

****

(96) د . سامي مكارم / أضواء على مسلك التوحيد (الدرزية) ص 51.

الباب الأول
شخصية الحاكم بأمر الله
وأثرها في عقيدة الدروز وأشهر دعاة الدروز وآراؤهم

ويتضمن ثلاثة فصول :
الفصل الأول : الحاكم بأمر الله : حياته وآراؤه وأثرها في عقيدة الدروز .
الفصل الثاني : تطور المذهب الدرزي بعد الحاكم .
الفصل الثالث : أشهر دعاة الدروز وآراؤهم .

الفصل الأول

الحاكم بأمر الله – حياته وآراؤه ، وأثرها في عقيدة الدروز

لابد لمن يتصدى للتعريف بالمذهب الدروزي ، من أن يلقى الضوء على شخصية ذلك الرجل الذي يدعي أتباعه الدروز ، أن اللاهوت ظهر في صورته الناسوتية .

هذا الرجل هو أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي ، والذي لقب بـ (الحاكم بأمر الله) .

ولد الحاكم بأمر الله سنة 375 هـ الموافق لعام 985 م ، وقد تولى الملك بعد موت أبيه مباشرة في رمضان سنة 386 هـ ، وكان سادس الملوك العبيديين .

ولكي تتمكن من أخذ فكرة واضحة قدر الإ ِمكان عن حياة هذا الحاكم الغامض ، قسمنا حياته إلى ثلاثة أقسام أو أدوار (97)، متمايزة عن بعضها تمام التمايز .

فالدور الأول : وهو دور حداثته ، يبدأ من توليه الملك في الحادية عشرة من عمره ، وينتهي بمقتل (برجوان) (98)في سنة 390 هـ الموافق لعام (1000 م) .

ويبدأ الدر الثاني : من تاريخ هذا الحادث حتى سنة 408 هـ الموافق لعام (1017 م) ، وهي السنة التي ادعى فيها الألوهية على يد حمزة بن علي .

أما الدور الثالث : فيبدأ من سنة 408 هـ ، حتى اختفائه ومقتله سنة 411 هـ الموافق لعام (1021) .

الدور الأول من سنة 386 – 390 هـ (996 – 1000 م) :

(ولي الحاكم بأمر الله الخلافة حدثا دون الثانية عشرة ، في نفس اليوم الذي مات فيه والده (العزيز) ، وكانت أمه أم ولد (99)، وقد كانت حسبما تقول الرواية النصرانية المعاصرة ، جارية رومية نصرانية من طائفة الملكية (100)،

---

(97) انظر دائرة المعارف الإسلامية ج 7 ص 266 – 270 ، التي قسمت حياة الحاكم إلى ثلاثة أدوار . وكذلك انظر ما قسمه الدكتور حسن إبراهيم حسن – في تاريخ الإسلام السياسي والديني ج 3 ص 153 – لحياة الحاكم إلى أربعة أقسام ، الأول من 386 هـ - 390 ، الثاني من 390 – 395 هـ ، والثالث من 396 – 401 هـ ، والرابع من 401 – 411 هـ .

(98) أحد الأوصياء الثلاثة ، الذين عهد إليهم العزيز برعاية الحاكم حتى بلوغه ، وكان خصيا .

(99) وهي المملوكة التي تبقى في الرق ، ويكون لها أولاد من مالكها ، وبعد موته تعتق لوجود ولد لها .

(100) حدث في سنة 451 م انشقاق في الكنيسة القبطية ، على أثر ما وقع في

وكان لها أيام العزيز نفوذ عظيم في الدولة ، وكان لهذا النفوذ أثره بلا ريب في سياسة التسامح (101)الواضح التي اتبعها العزيز نحو النصاري ، وفي تقوية جانبهم ونفوذهم ، وتمكنهم من مناصب النفوذ والثقة) (102)
وأوصى العزيز قبل موته بولده ثلاثة من أكابر رجال الدولة وهم : (برجوان الصقلبي خادمه وكبير خزائنه ، والحسن بن عمار زعيم كتامة ، أقوىالقبائل المغربية ، وعماد الدولة الفاطمية منذ نشأتها ، ومحمد بن النعمان قاضى القضاة ، وكانت الوصاية الفعلية إلى الأول والثاني ، ولم يلبث أن نشب الخلا ف بين الرجلين واشتدت المنافسة بينهما .
وقام ابن عمار بتدبير الشؤون باديء ذي بدء ، ولقب في سجل تعيينه بأمين الدولة ، وظهر ابن عمار بمظهر الطاغية المطلق ، فكان يدخل القصر ويغادره راكبًا ، وألزم جميع الناس بالترجل له ، وأغلق بابه إلا على الخاصة والأكابر من شيعته .
وأخيرًا وقع الانفجار ، ووثبت جماعة كبيرة من الزعماء والجند بتحريض برجوان وتدبيره ، وهاجمت الكتاميين في ظاهر القاهرة وأثخنت فيهم ، فتوارى ابن عمار حينًا ، واضطر أن يترك الميدان حرًا لمنافسه ، عندئذ قبض برجوان على زمام الأمور) (103) .
(وأوصبح برجوان مطلق السلطان ، وركبه الزهو والغرور ، وانغمس في الملذات ينعم بثروته الطائلة) (104).
فماذا كان موقف الحاكم خلال هذه الفترة الأولى من ملكه ؟
(ولقد كان برجوان بلا ريب يحجبه ما استطاع عن الاتصال برجال الدولة وشؤونها ، ويدفعه ما استطاع إلى اللهو واللعب ، ولم يلبث أن فطن الحاكم إلى موقف برجوان واستئثاره بالسلطة ، واستبداده بالشؤون ، وكان الحاكم قد أشرف – في ذلك الوقت – على الخامسة عشر من عمره ، وأصبح الطفل فتى يافعًا شديد اليقظة والطموح ، وبدأ يثور لسلطته المسلوبة ، ولذلك فقد حكم على برجوان بالموت ، فاستدعى الحاكم الحسين بن جوهر ، وعهد إليه

مجمع خلقيدونة الكنسي من الجدل اللاهوتي ، ورفض الأقباط الخضوع لقرارات هذا المؤتمر ، فاعتبرهم الإمبراطور الرومي كفرة ، واختار للأسكندرية بطريقا من قبله عرف أتباعه بالملكية ، وهم الكاثوليك ، وعرف الباقون باليعاقبة .
(101) أو قل التخاذل لأن من سبقه في الدولة العبيدية كانوا متخاذلين حقا ؟! .
(102) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 41 ، 42 .
(103) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 45 – 47 .
(104) دائرة المعارف الإسلامية / مجلد 7 ص 267 .

بتلك المهمة . ومنذ ذلك الحين تناول الحاكم إدارة الدولة بيديه ، ونظم له مجلسًا ليليًا يحضره أكابر رجال الدولة ، وتبحث فيه الشؤون العامة) (105).

الدور الثاني من سنة 390 – 408 هـ (1000 – 1017 م) :

افتتح الحاكم عهده الجديد كما ذكرنا بقتل برجوان وصيه ومدبر دولته ، (غير أن الحاكم ما لبث أن اتبع ضربته بضربة دموية أخرى هي مقتل الحسن بن عار زعيم كتامة – وأحد الأوصياء عليه – وفي سنة 393 هـ قتل الحاكم وزيره فهد بن إبراهيم النصراني ، بعد أن قضى في منصبه زهاء ستة أعوام ، وأقام الحاكم مكانه على بن عمر العداس (106)، ولكن لم تمض أشهر قلائل حتى سخط عليه وقتله ، وقتل معه الخادم ريدان الصقلي حامل المظلة .
ثم قتل عددًا كبيرًا من الغلمان والخاصة سنة 394 هـ ، ثم تبع بذلك بمقتلة أخرى كان من ضحاياها الحسين بن النعمان الذي شغل منصب القضاء منذ سنة 389 هـ ، فقتل وأحرقت جثته ، وزهق فيها عدد كبير من الخاصة و العامة ، فقتلوا أو أحرقوا) (107).
ولكي نعطي صورة واضحة عن هذه الشخصية الغامضة ، نستعرض فيما يلي أقوال بعض المؤرخين ممن كانوا معاصرين لعهد الحاكم ، أو كانوا قريبين من عهده :
ونبدأ بابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) الذي ينقل عن أبي المظفر بن قزأ وغلي في تاريخه (مرآة الزمان) ما يلي عن الحاكم :
(وقد كانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام ، وجبن وإحجام ، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء ، وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء .
وكان الغالب عليه السخاء ، وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط ، وأقام يلبس الصوف سبع سنين ، وامتنع عن دخول الحمام ، وأقام سنين يجلس في الشمع ليلا ً ونهارًا ، ثم عنّ له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة ، وقتل من العلماء والكتاب والأماثل ما لا يحصى ، وكتب على المساجد والجوامع سبب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، ثم محاه في سنة سبع وتسعين .

(105) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 48 – 50 .
(106) أحد وزراء الدولة الفاطمية ، تولى الوزارة لأول مرة بعد وفاة يعقوب بن كلس اليهودي أيام العزيز .
(107) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 54 .

وأمر بقتل الكلاب ، وبيع الفقاع (108)ثم نهى عنه ، ورفع المكوس (109)عن البلاد وعما يباع فيها ، ونهى عن النجوم وكان ينظر فيها . ونفى المنجمين ، وكان يرصدها ويخدم زحل وطالعه المريخ ، ولهذا كان يسفك الدماء (110).
وبنى جامع القاهرة ، وجامع راشدة على النيل بمصر ، ومساجد كثيرة ، ونقل إليها المصاحف المفضضة ، والستور الحرير ، وقناديل الذهب والفضة ، ومنع من صلاة التراويح عشر سنين ، ثم أباحها . وقطع الكروم ومنع من بيع العنب ، ولم يبق في ولايته كرمًا ، وأراق خمسة آلاف جرة عسل في البحر ، خوفًا من أن تعمل نبيذًا ، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلا ً ونهارًا) (111).
ويروي ابن خلطان عن الحافظ أبي الطاهر السِلَفي (112):
(أن الحاكم كان جالسًا في مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته ، فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسلميا } (113) [النساء : 65] ، والقارئ في أثناء ذلك يشير إلى الحاكم ، فلما فرغ من القراءة ، قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر ، وكان رجلا ً صالحًا { يا أيها الناس ضرب مثلٌ فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز } (114) [الحج : 73] .
فلما أنهى قراءته تغير وجه الحاكم ، ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ، ولم يطلق للآخر شيئاً ، ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر قال له : أنت تعرف الحاكم وكثرة استحالاته ، وما نأمن أن يحقد عليك ، وأنه لا يؤاخذك في هذا

---

(108) شراب يتخذ من الشعير ، يعلوه الزبد والفقاعات ، ويشبه (البيرة) الوقت الحاضر .
(109) الجمارك .
(110) كذا في مرأة الزمان ، ولا يخفى ما في ذلك من مخالفة للشرع ، فإن النجوم و المطالع لا ينسب إليها فعل أحد ، فقد كان سفاكا للدماء بفعله القبيح ، ونفسه المجرمة . ومن اعتقد في النجوم خلاف ذلك من تأثير على الناس في الحظوظ والسعادة والشقاء فقد كفر بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم .
(111) ابن تعرى بردى / النجوز الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج . ص 176 ، 177.
(112) هو الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي ، بكسر السين وفتح اللام ، ولد في أصبهان سنة 475 على الأرجح وطلب الرحلة للحديث حتى استقر في الا سكندرية . توفي سنة 576 / انظر أبو الطاهر السلفي / د . حسن عبد الحميد صالح .
(113) النساء : 65 .
(114) الحج : 73 .

الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى معه ، ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه . فتجهز ابن المشجر للحج ، وركب في البحر فغرق ، فرآه صاحبه في النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : ما أقصر الربان معنا ، أرسى بنا على باب الجنة ، رحمه الله تعالى ، وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده) (115).

ويقول السيوطي : (إنا الحاكم أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إعظامًا لذكر ، واحترامًا لاسمه ، فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين . وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدًا ، حتى أنه يسجد بسجودهم في الأسواق وغيرهم ، وكان جبارًا عنيدًا ، وشيطانًا مريدًا ، كثير التلون في أقواله وأفعاله) (116) .

ومن أفعاله (أنه كان يعمل الحسبة بنفسه ، فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له – وكان لا يركب إلا حمارًا - ، فمن وجده قد غش في معيشة ، أمر عبدًا أسود معه يقال له مسعود ، أن يفعل به الفاحشة العظمى) (117).

وقد بنى بين الفسطاط والقاهرة مسجدًا عظيمًا على ثلاثة مشاهد (118)كانت هناك ، وجعل فيه سدنة وخدمًا يوقدون فيه السرج الليل كله ، وكان يريد أن ينقل إليه جسد النبي صلى الله عليه وسلم ، غير أن الله سبحانه دفع ، وأظهر الله عز وجل أهل المدينة على ذلك) (119).

وكان يحتال بكل حيلة لإ ِقناع الناس بقدرته وعلمه ، (ومن ذلك أنه أرسل مرة وراء بعض الأشقياء ، وعلمهم أن يسرقوا من مخازن مصر في أحد الليالي أشياء معلومة فأطاعوا أمره ، وكان قبل ذلك قد أمر الناس بترك بيوتهم ودكاكينهم مفتوحة طوال الليل بدعوى أن السرقة لا تجوز في أيامه ، وتعهد لكل من يسرق له شيء برده ومعرفة السارق .

فلما دار الذين استأجرهم للسرقة ، وأخذوا ما أخذوه ، تقدم إليه أصحاب الحاجيات يشكون إليه الأمر فقال : اذهبوا إلى أبى الهول الذي صنعته يخبركم بما تريدون ، وكان صد صنع تمثالا ً من النحاس على صورة أبي

---

(115) ابن خلكان / وفيات الأعيان / مجلد (5) ص 295 .
(116) السيوطي / حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ج 1 . ص 601 ، 601.
(117) ابن كثير / البداية والنهاية ج 12 ، ص 9 .
(118) المشاهد : هي القبور التي يبنى عليها ، وتقصد للتبرك ، بل إن كثيرا منها ليس فيه أحد مقبور ، وإنما جعل من قبل أهل الضلال ، ولا يكاد يخلو بلد من مشهد للحسين عند الشيعة ، وللخضر وغيره عند جهال أهل السنة ، طهر الله أرض المسلمين من هذه ا لأوثان ، ومن جميع مظاهر الشرك .
(119) الحميري / الروض المطار في خبر الأقطار ص 450 .

الهول ، ووضع من داخله رجلا ً يعرف أسماء السارقين ، والذين سرقت الأشياء من دكاكينهم ، فإذا جاء الرجل منهم وقص حكايته ، أجابه الرجل من داخل الصنم أن اذهب إلى بيت فلان تجد حاجتك ، وصحت أقاويله ، فهال الناس الأمر واعتقدوا في الخليفة أشكالا ً وألوانًا) (120).

وينقل الأستاذ محمد عبد الله عنان عن كتاب (أخبار الدول المنقطعة) عن الحاكم وعن خطته الدموية ما يأتي : (وكان مؤاخذًا بيسير الذنب ، حادًا لا يملك نفسه عند الغضب ، فأفنى أمما وأباد أجيالا ً ، وأقام هيبة عظيمة وناموسًا ، وكان يفعل عند قتله الشخص أفعالا ً متناقضة وأعمالا ً متباينة . وكان يقتل خاصته وأقرب الناس إليه ، فربما أمر بإحراق بعضهم ، وربما أمر بحمل بعضهم وتكفينه ودفنه وبنى تربة عليه ، وألزم كافة الخواص ملازمة قبره والمبيت عنده ، وأشياء من هذا الجنس يموه بها على عقول أصحابه السخيفة ، فيعتقدون أن له في ذلك أغراضًا صحيحة استأثر بعلمها وتفرد عنهم بمعرفتها) (121).

ومن حوادث القتل والسفك التي اقترفها الحاكم : (أنه في سنة 399 هـ قبض على جماعة كبيرة من الغلمان ، والكتاب ، والخدم الصقالبة بالقصر ، وقطعت أيديهم من وسط الذراع ثم قتلوا . وقتل الفضل بن صالح (122)من أعظم قواد الجيش ، وفي العام التالي وقعت مقتلة أخرى بين الغلمان والخدم ، وقتل جماعة من العلماء السنية . وقبض على صالح بن علي الروذباري لأسابيع قليلة من عزله وقتل ، وعين مكانه ابن عبدون النصراني ، ثم صرف وقتل لأشهر قلائل ، وخلفه أحمد بن محمد القشوري في الوساطة والسفارة ، ثم صرف لأيام قلائل من تعيينه وضربت عنقه لأنه كان يميل إلى الحسين بن جوهر (123)ويعظمه .

وللحاكم قصة دموية مروعة مع خادمه (غين) وكاتبه (أبي القاسم الجرجرائي) (124)، وكان غين من الخدم الصقالبة الذين يؤثرهم الحاكم

---

(120) كريم ثابت / الدروز والثورة السورية ص 17.
(121) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر اللّه وأسرار الدعوة الفاطمية ص 59 .
(122) هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات ، كان في أيام الحاكم بأمر اللّه ، وأمره بالجلوس للوساطة ، فجلس خمسة أيام وقتله سنة 405 هـ .
(123) قائد القواد في أيام الحاكم ولاه القيادة سنة 390 هـ ، فأقام نحو ثلاث سنوات ، ثم هرب خوفا من بطش الحاكم ، حتى استطاع أن يظفر به وقتله سنة 401 هـ .
(124) علي بن أحمد الجرجرائي ، وزير ، وتنقل في الأعمال أيام الحاكم ، حتى قطع يديه سنة 404 هـ ، ثم ولي بعد ذلك ديوان النفقات سنة 406 هـ ولقب سنة 407 هـ نجيب الدولة ، توفي سنة 436 هـ .

بعطفه وثقته ، فعينه في سنة 402 هـ للشرطة والحسبة ولقبه بقائد القواد ، وعهد إليه بتنفيذ المراسيم الدينية والاجتماعية ، وعهد بالكتابة إلى أبي القاسم الجرجرائي ، وكان الحاكم قد سخط على غين قبل ذلك ببضعة أعوام وأمر بقطع يده ، فصار أقطع اليد ، ثم سخط عليه كرة أخرى وأمر بقطع يده الثانية ، فقطعت وحملت إلى الحاكم في طبق ، فبعث إليه الأطباء للعناية به ووصله بمال وتحف كثيرة ، ولكن لم تمض أيام قلائل على ذلك حتى أمر بقطع لسانه ، فقطع وحمل إلى الحاكم أيضًا ، ومات غين من جراحه .

وأما أبو القاسم الجرجرائي فقد أمر الحاكم بقطع يديه لوشاية صدرت في حقه ، ولكنه أبقى على حياته ، وعاش أقطع اليدين ، وفي سنة 405 قتل الحاكم قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي (125)، وقتل الوزير الحسين بن طاهر الوزان (126)، وعبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب ، وأخاه الحسين متولي الوساطة والسفارة ، وقلد الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ، ثم قتله لأيام قلائل من تعيينه .

وهكذا استمر الحاكم في الفتك بالزعماء ورجال الدولة والكتاب والعلماء حتى أباد معظمهم ، هذا عدا من قتل من الكافة خلال هذه الأعوام الرهيبة ، وهم ألوف عديدة . وتقدر الرواية المعاصرة ضحايا الحاكم بثمانية عشر ألف شخص من مختلف الطبقات) (127).

وكان أشد الناس تعرضًا لهذه النزعات الدموية ، أقرب الناس إلى الحاكم من الوزراء والكتاب والغلمان والخاصة ، ولم يكن عامة الناس أيضًا بمنجاة منها ، فكثيرًا ما عرضوا للقتل الذريع لأقل الريب والذنوب أو لاتهامهم بمخالفة المراسيم والأحكام الشاذة التي توالي صدورها طوال حكمه ، وكان رجال الدولة ورجال القصر وسائر العمال والمتصرفين يرتجفون رعبًا وروعًا أمام هذه المذابح الدموية ، وكان التجار وذوو المصالح والمعاملات يشاطرونهم ذلك الروع .

ويروي لنا المُسبّحي (128)صديق الحاكم ومؤرخه فيما بعد ، أن الحاكم أمر

(125) من قضاة الديار المصرية ، ولاه الحاكم القضاء سنة 398 هـ ، ثم أضيف إليه النظر في المظالم سنة 401 هـ ، وعلت منزلته عند الحاكم ، واستمر في القضاء حتى 405 هـ حين ضرب الحاكم عنقه .

(126) كان يتولى بيت المال في أوائل ملك الحاكم ، ثم ولاه الوزارة سنة 403 هـ ، وبينما كان مع الحاكم خارج القاهرة ضرب عنقه ودفنه في مكانه ، وكان ذلك سنة 405 هـ .

(127) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 57 ، 58 .

(128) هو محمد بن عبيد الله المسبحي ، مؤرخ وعالم بالأدب ، ولد بمصر سنة 366 هـ.

سنة 395 هـ بعمل شونة كبيرة مما يلي الجبل ملئت بالسنط والبوص والحلفا (129)، فارتاع الناس وظنه كل من له صلة بخدمة الحاكم من رجال القصر أو الدواوين أنها أعدت لإعدامهم ، وسرت في ذلك إشاعات مخيفة . فاجتمع سائر الكتاب وأصحاب الدواوين والمتصرفون من المسلمين والنصاري في أحد ميادين القاهرة ، ولم يزالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا القصر ، فوقفوا على بابه يضجون ويتضرعون ويسألون العفو عنهم ، ثم دخلوا القصر ورفعوا إلى أمير المؤمنين عن يد قائد القواد الحسين بن جوهر رقعة يلتمسون فيها العفو ، فأجابهم الحاكم على لسان الحسين إلى ما طلبوا ، وأمروا بالانصراف والبكور لتلقي سجل العفو .
واشتد الذعر بالغلمان والخاصة على اختلاف طوائفهم ، وتوالى صدور الأ مانات لمختلف الطبقات) (130).
هذه السجلات وأمثالها التي أصدرها الحاكم تدل على مدى خوف الناس من بطشه ، حتى التمسوا منه إصدار سجلات الأمان .
ولا يوجد ثمة ريب في أن القتل كان في نظر الحاكم خطة مقررة ، ولم تكن فورة أهواء فقط ، وقد لزم الحاكم هذه الخطة طوال حياته ، وفي هذا المعنى يقول الكوثري : (من علم أن مدة الحاكم هذا من سنة 386 هـ إلى سنة 411 هـ ، يرى الاعتذار عنه بأنه كان مجنونًا كلاما لا يلتفت إليه ، لأن من المحال في جاري العادة أن يستبقي حاكم وهو مجنون مدة خمس وعشرين سنة) (131) .
وينقل الأستاذ محمد عبد الله عنان عن المستشرق ميللر في الحاكم ما يلي :
(وليس لدينا إلا أن نعتقد أنه إما باطني متعصب ، توهم في نفسه الإ غراق والألوهية ، وإما أمير ذكي بارع في تاريخ أسرته ومذهبها . أعتقد أنه يستطيع أن يسمو فوق البشر وأن يحتقرهم ويصنفهم كالشمع طوع إرادته ، وربما كان يجمع في طبيعته المتناقضة بين شيء من هذا وشيء من ذاك) (132).
ولقد كانت معاملة الذميين من أهم ظواهر عصر الحاكم بأمر الله ، وكانت بلا

، اتصل بخدمة الحكم ، وحظي عنده وولاه ديوان الترتيب ، له كتاب كبير في (تاريخ المغاربة ومصر) ويعرف بـ (مختار المسبحي) وكتب كثيرة أخرى ، توفي سنة 420 هـ .

(129) الشونة : المخزن الكبير ، والسنط : نوع من الخشب يستعمل في البناء ، و الحلفا : نبات طويل الورق تصنع منه القفف وينبت بالمستنقعات .
(130) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 55 .
(131) محمد زاهد الكوثري / من عبر التاريخ ص 9 .
(132) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 96 .

ريب سياسة مقررة ، ولم تحمل في مجموعها طابع التناقض .
ففي سنة 395 هـ أصدر الحاكم أمره للنصارى واليهود بلبس الغيار ، وشد الزنار ، ولبس العمائم السود . وفي سنة 399 هـ أمر بهدم كنائس القاهرة ونهب ما فيها ، وصدر مرسوم خاص بهدم كنيسة القيامة في بيت المقدس .
وفي العام التالي صدر مرسوم جديد بالتشديد على اليهود والنصارى في لبس الغيار وتقليد الزنار ، وألغيت الأعياد النصرانية كعيد الصليب والغطاس ، وعيد الشهيد (133).
وقد خفت هذه المعاملة للذميين تباعًا ، وخاصة قبل مقتل الحاكم سنة 411 هـ ، إذ أصدر عدة سجلات بإلغاء ما أصدره من قبل في حقهم . ومما يلحظ في هذا الصدد ، أن موقف الحاكم إزاء النصارى واليهود هو من المواقف القليلة التي ثبت فيها الحاكم على سياسة واحدة ، وأنه لم يجنح فيه من الشدة إلى اللين إلا في أواخر عصره ، حينما ظهر دعاة تأليهه ، يدعون إلى دين جديد وعقائد جديدة) (134). فكان لابد من تغيير هذه المعاملة ، محاولة منه لا ستمالتهم إلى ما تصبو إليه نفسه ؟ .
أما موقف الحاكم من أحكام وأركان الإسلام ، (فقد أصدر سنة 400 هـ سجل بإلغاء الزكاة والنجوي (أو رسوم الدعوة) (135)، وأعيدت صلاة الضحى و التراويح (بعد أن منعها) . وفي بعض الروايات أنه حاول أن يعدل بعض الأ حكام الجوهرية كالصلاة والصوم والحج ، وقيل إنه شرع في إلغائها ، أو أنه ألغاها بالفعل .
ومن ذلك أنه ألغى الزكاة كما رأينا ، وألغى صلاة الجمعة (التي يصليها) في رمضان ، وكذلك ألغى صلاته في العيدين ، وألغى الحج ، وأبطل الكسوة النبوية (136)، وفي سنة 395 هـ أمر بسب السلف (أبي بكر وعمر وعثمان

(133) الذي ألغاه الحاكم هو السماح لهم بجعل هذه الأعياد الخاصة بهم ، أعيادا شعبية يظهرون فيها التحدي للشعور الإسلامي العام من إظهار وشرب للخمر ورفع للصلبان ... إلخ ، والتي كان يسمح بها الحاكم ومن سبقه في الدولة العبيدية.
(134) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 78 – 71 و ص 92 .
(135) يؤيد هذا ما ذكره الدكتور محمد كامل حسين معتمدا على رسائل الدروز أن بداية ادعاء الحاكم الألوهية كانت سنة 400 هـ.
(136) إننا ونحن ننقل هذه الأشياء التي استنكرت من الحاكم ، لأنها كانت متبعة من قبله وألفها الناس ، من غير نظر لما فيها من مخالفات شرعية أو بدع ما أنزل الله بها من سلطان ، فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى كساء يطرح على قبره الشريف . بل نهى صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك ، ولو أن الحاكم امتنع عن هذه الأ

وعائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم) ، وكتب ذلك على أبواب المساجد ، ولاسيما جامع عمرو في ظاهره وباطنه ، وعلى أبواب الحوانيت والمقابر ، ولون بالأصباغ والذهب ، وأرغم الناس على المجاهرة به ونقشه في سائر الأماكن) (137).

وقد أمر نائبه على دمشق أن يضرب رجلا ً مغربيًا ، ويطاف به على حمار ، ونودى عليه : هذا جزاء من أحب أبا بكر وعمر ، ثم أمر به فضربت عنقه) (138).

ولكنه في سنة 397 هـ أمر بمحو كل ما كتب على المساجد والدور وغيرها ، وفي سنة 401 هـ قرئ بجامع عمرو سجل بالنهي عن معارضة أمير المؤمنين (الحاكم) فيما يفعل أو يصدر فيه من الأمور والأحكام ، وترك الخوض فيما لا يعني . وكانت النفوس قد اضطربت من جراء هذه الأوامر والقيود المضنية ، وأمر في نفس السجل بإعادة (حي على خير العمل) في الأذان ، وإسقاط (الصلاة خير من النوم) (139)، والنهي عن صلاة التراويح والضحى) (140).

وأما عن شغفه بالليل ، فقد كان من أظهر خواص هذا الدور من حكمه ، ((فقد كان يعقد مجالسه ليلا ً ، ويواصل الركوب كل ليلة ، وينفق شطرًا كبيرًا من الليل في جوب الشوارع والأزقة .

وجنح الحاكم في تلك الفترة إلي نوع من التصوف المدهش (141)، فأطلق شعره حتى تدلى على أكتافه ، وأطلق أظافره ، واستعاض عن الثياب البيضاء

أشياء اتباعا للدين وأوامره لمدحت منه ، غير أنه كان يفعلها ليخالف المألوف وينقض المعروف ، بناء على تصورين الأول ما ذكرته من أن هذا ليس اضطرابا بل خطه مقررة والثاني أن هذا اضطراب في عقله وتصرفاته لا يستغرب عنه .

(137) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 76 ، 78 .

(138) آدم متز / الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 1 ص 132.

(139) الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعلها في الأذان الأول في الفجر ، ولم تستعمل في الأذان الثاني أو في الإقامة إلا بعد زمن طويل من وفاته صلى الله عليه وسلم.

(140) محمد عبد الله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 66.

(141) إن التصوف لم يكن في يوم من الأيام من شعائر الشيعة ، بل لا يكاد يوجد بينهم متوصف واحد ، ولعل ما يقصده الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ما ظهر به الحاكم من لباس مخالف للمألوف وشكل غريب ، وهذا ما يظهر به المتصوفه في مصر وغيرها بثياب مخالفة للمألوف .

بثياب سود ، فكان يرتدي جبة من الصوف الأسود العادي (142)، وقد لا يغيرها مدة طويلة حتى يعلوها العرق والرثاثة ، وقد يرتدي أحيانًا جبة مرقعة من سائر الألوان .
وأضرب عن جميع الملاذ الحسية والنفسية ، واقتصر في طعامه على أبسط ما تقتضيه الحياة من القوت المتواضع . وفي سنة 405 هـ ازداد الحاكم شغفًا بـ الطواف في الليل ، فكان يركب مرارًا في اليوم ، بالنهار والليل ، وكان يقصد غ البًا إلى المقطم (143)حيث أنشأ له منزلا ً منفردًا يخلو فيه إلى نفسه ويهيم في عوالمه وتصوراته ، ومرصدًا خاصًا يرصد منه النجوم ويستطلعها .
وكان يؤثر ركوب الحمير ، ولاسيما الشهباء منها ، ويخرج دون موكب ولا زينة ومعه نفر قليل من الركابية ، وكان يبدأ كعادته بالتجوال في شوارع القاهرة ، ويحادث الكافة ، ويستمع إلى ظلامات المتظلمين .
وقد انتهت إلينا أحاديث ونوادر كثيرة عن المناظر التي كانت تقترن بهذا الطواف ، وعما كان ينزع إليه الحاكم أحيانًا من الأهواء العنيفة خلال طوافه ، ومن ذلك أنه كان يأمر بإحراق الشونة ليتمتع بمرأى النيران ، وأنه لقى ذات مساء عشرة من الناس سألوه الإ ِحسان فأمر أن ينقسموا إلى فريقين يتقاتلا ن ، حتى يغلب أحدهما فينعم عليه ، فتقاتلا حتى فنى منهم تسعة وبقي واحد ، فألقى عليه الدنانير ، فلما انحنى ليأخذها عاجله الركابية بقتله .
وأنه مر ذات ليلة على دكان شواء ، فانتزع منه سكينًا وقتله بها أحد الركابية المقربين لديه بغير ما سبب معروف ، وقد تركت الجثة في موضعها ، وفي اليوم التالي أنفذ الحاكم إليه كفنًا جليلا ً ، ودفن مع التكريم) (144).
((ويحكى أنه عَنّ له في أثناء ركوبه بالليل رأي سخيف ، فكان يأمر أحد رجاله بأن يأتي شيخًا خليعًا بمشهد منه ومن الجمع الحاضر ، ويضحك من هذا المنظر القبيح ويطرب له) (145).

---

(142) وهذا يدلنا على ما يتمسك به (أجاويد) طائفة الدروز حتى اليوم ، من لبس الثياب السوداء من القماش المعروف بـ (كلمنظا) وهو قماش قطني رخيص متين .
(143) بضم أوله ، وفتح ثانية ، وهو الجبل المشرف على القرافة (مقبرة الفسطاط و القاهرة) وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطيء النيل الشرقي ، حتى يكون منقطعه طرف القاهرة ، ويسمى في كل موضع باسم وعليه مساجد وصوامع للنصارى ، لكنه لا نبت فيه ولا ماء . انظر ياقوت الحموي في معجم البلدان ج 5 ص 176 .
(144) محمد عبدالله عنان / الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية 62 ، 63 ، 87 ، 111 .
(145) آدم متز / الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 2 ص 168 .

هذا بعض ما أورده المؤرخون عن الحاكم ، وما أوردناه لم يكن مجرد سرد تاريخي لحياة الحاكم ، ولكنه من صلب العقيدة التي نتحدث عنها وهي عقيدة الدروز ، حيث سترى بعد قليل أن هذه الوقائع التاريخية لحياة الحاكم كان لها أكبر الأثر في عقيدة هذه الطائفة ، لأنهم أولوا جميع هذه الأعمال الشاذة على أنها دليل على ألوهيته وربوبيته ، وليست كما يظهر لنا في الظاهر .

الدور الثالث : من سنة 408 – 411 هـ (1017 – 1021 م) :

في رسالة (مباسم البشارات) التي كتبها الكرماني ، أحد أكابر الدعاة الإسماعيليين في ذلك الوقت ، والتي جاءت بعد اضطراب الأحوال في مصر حينما وفد إليها – الكرماني – سنة 408 هـ ، إشارة واضحة إلى حالة الدعوة الإسماعيلية ، فقد جاء فيها : (بأن عهود الدعوة التي كانت قبل ذلك قد درست ، وأن مجالس الحكمة التأويلية أبطلت ، وتقلبت الأحوال بالناس ، فالعالي قد اتضع ، والسافل قد ارتفع ، والذين آمنوا بالدعوة الفاطمية اضطربت أحوالهم ، وكل واحد يرمي صاحبه بالإلحاد ، وبعضهم غالى في رأيه ، والبعض الآخر خرج عن عقيدته .. إلى غير ذلك) (146) .

فالصورة التي صورها الكرماني لهذا الاضطراب الذي ظهر في المجتمع كان بسبب ظهور دعوة جديدة تقول : بأن الحاكم بأمر الله ما هو إلا ناسوت للإله ، ولاشك أن الدعاة الذين نادوا بهذه الدعوة الذين نادوا بهذه الدعوة الجديدة ، ظلوا يعملون لها مدة طويلة في الخفاء ، ويعدون عدتهم للظهور بها في الوقت الملائم) (147).

لذلك نستطيع أن نقول : إن سلوك الحاكم ، إنما كان بتأثير فكرة الألوهية ، وأن كل ما صدر عن الحاكم بأمر الله من أعمال وأقوال ، إنما كان بدافع واحد هو تأليهه .

((فالحاكم تولى مقاليد الحكم وهو صغير السن ، وقد أحيط بهالة خاصة مما أسبغته العقيدة الإسماعيلية عن أئمتها ، فتأثر بهذه العقائد ، إلى جانب أنه رأى حاشيته ورعيته يسجدون له كلما مر بهم ، فشاع طموحه – وهو في مثل هذا السن الصغير – أن يكون إلهًا مثل الملوك الأقدمين – من الفراعنه - ، واختمرت هذه الفكرة في نفسه ، ولكنه لم يعلنها للناس ، ولعله أسر بها إلى بعض الدعاة حوله ، فتسابقوا إلى إشباع نزوته وتنميتها مع مرور الزمن))

(146) أورد الأستاذ مصطفى غالب الرسالة بأكملها في كتابه الحركات الباطنية في الإسلام من ص 205 : 233.

(147) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 75 .

(148).
((وربما أوحى بعض الدعاة إليه بكل ما قام به من أعمال ، ولكن ليس لدينا من كتب التاريخ ما يؤيد أي افتراض ، والشيء المؤكد أن هذه السياسة التي اتبعها الحاكم كانت مقررة ، ليفهم من أفعاله أنه هو الخالق ، وأنه هو المحيي والمميت ، والرازق والوهاب ، إلى غير ذلك من أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى . فها هو الحاكم بأمر الله يسرف في القتل ليقال : إنه مميت ، ويرزق الناس ويهبهم ليقال : إنه رزاق وهاب ، ويعفو عمن يستحق القتل ليقال : إنه محيي)) (149).
ويؤيد هذا ما ورد في رسالة (السيرة المستقيمة) التي ألفها حمزة بن علي ، وجاء فيها : ((ولكني أذكر لكم في هذه السيرة وجوها قليلة العدد ، كثيرة المنفعة ، لمن تفكر فيها ، فأول ما أختصر في القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار ، وهو يومئذ ظاهر لا يراه العامة إلا على قدر عقولهم ، ويقولون صبي السن ، وملك المشارقة كافة مع برجوان ، ولابن عمار ملك المغاربة . فأمر مولانا بقتلهم فقتلوا قتل الكلاب ، ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب ، وأما أمر ملوك الأرض فما يستجري أحد منهم على مثل ذلك ، ثم أمر بقتل ملوك كتامة وجبابرتها بلا خوف من نسلهم وأصابهم ، ويمشي أنصاف الليالي في أوساط ذراريهم وأولادهم بلا سيف ولا سكين .
شاهدتموه في وقت أبي ركوة الوليد بن هشام الملعون ، وقد أضرم ناره ، وكانت قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم مما رأوه من كسر الجيوش ، وقتل الرجال ، وكان المولي جلت قدرته يخرج أنصاف الليالي إلى صحراء الجب ، ويلتقي به حسان بن عليان الكلبي في خمسمائة فارس ، ويقف معهم بلا سلا ح ولا عدة ، حتى يسأل كل واحد منهم عن صاحبه ، ثم إنه يدخل في ظاهر ا لأمر إلى صحراء الجب ، وليس معه غير الركابية والمؤذنين ... إلى أن يقول : (إنكم ترون من أمور تحدث بما شاهدتموه من المولى ما لا يجوز أن تكون أفعال أحد من البشر ، لا ناطق ، ولا أساس ، ولا إمام ، ولا حجة ، فلم تزدادوا بذلك إلا عمي وقلة بصيرة) (150) .
((وقد بدأ ظهور المذهب الجديد ، حينما قام الدرَزي (وهو أحد دعاة المذهب في أول ظهوره) ، وأعلن الدعوة سنة 407 هـ ، ثم قام سنة 408 هـ ومعه خمسمائة من أصحابه وأتباعه بالحج إلى قصر الحاكم فهاجمهم الناس و

(148) أحمد الفوزان / أضواء على العقيدة الدرزية ص 23 .
(149) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 44 .
(150) رسالة السيرة المستقيمة .

الجند) (151).
والمؤرخون يذكرون ثلاثة من الدعاة الكبار الذين أسسوا هذا المذهب ، وهم : حمزة بن علي بن أحمد الزوزني (الذي أصبح إمام المذهب فيما بعد) ، ومحمد ابن إسماعيل الدرزي المعروف بـ (نشتكين) ، والحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بـ (الأخرم أو الأجدع) .
((ويرجح الدكتور محمد كامل حسين أنهم كانوا جميعًا من حاشية الحاكم الذين لم يفارقوه مدة الوصاية عليه ، وخاصة حمزة بن علي ، الذي استأثر بكل شيء وبالتمجيد كله)) (152).
وقد وقع الخلاف بين حمزة ، والدرزي منذ ذلك الحين ، لتسرع الدرزي في الكشف عن المذهب الجديد ، ولذلك نجد أن حمزة عمد إلى إظهار دعوى ألوهية الحاكم سنة 408 هـ ، والتي يعتبرها الدروز أولى سني تقويمهم ، وبعد هذه الدعوى اضطربت الأحوال في مصر ، وهاجمت الناس هؤلاء الدعاة في كل مكان ، مما دفع الدرزي إلى الاحتماء في قصر الحاكم ، والهرب فيما بعد إلى الشام . واضطر حمزة بعد الذي حدث ، أن يغيب عن الأنظار في سنة 409 هـ ، والتي يعتبرها سنة غيبة .
من كل هذا نرى أن الحاكم كان يقف من هذه الدعوة موقف التأييد والرعاية ، ويشد أزرهم ويمدهم بالمال والنصح ، ويسهر على حمايتهم من الناس ، ويقول حمزة في رسالة (الغاية والنصحية) مؤكدًا على حماية الحاكم له ولأتباعه ، عندما هاجمهم الناس والجند في المسجد الذي كان يحتمي فيه : (وقد اجتمعت عند المسجد سائر الأتراك بالجيوش ، والزرد ، والخوذ ، و التحافيف ، ومن جميع العساكر والرعية زائدًا عن عشرين ألف رجل ، فقد نصبوا على القتال بالنفط ، والنار ، ورماة النشاب ، والحجار ، ونقب الجدار و التسلق إلى الحيطان بالسلالم يومًا كاملا ً ، وجميع من كان معي في ذلك اليوم اثنتعشر نفسًا(153) ، منهم خمسة شيوخ كبار ، وصبيان صغار لم يقاتلوا ، فقتلنا من المشركين(154) ثلاث أنفس ، وجرحنا منهم خلقًا عظيمًا لا يحصى ، حتى طال على الفئة القليلة الموحدة القتال ، وكادت الأرواح تتلاشى وتبلغ التراق ، وخافوا كثرة الأضداد والمراق ، وغلبة

(151) أحمد الفوزان / أضواء على العقيدة الدرزية ص 16 .
(152) محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 75 .
(153) هكذا وردت ، والصحيح (اثنا عشر) .
(154) يقصد المسلمين .

المنافقين والفساق ، فناديتهم : معاشر الموحدين : اليوم أكملت لكم دينكم ب الجهاد ، وأتممت عليكم نعمته والسداد ، وأرضى لكم التسليم لأمره بالجهاد ، وما يصيبنا إلا ما كتب الله علينا هو مولانا وعليه فليتوكل المؤمنون .
معاشر الموحدين قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (155)، قاتلوا أقوامًا نكثوا أيمانهم يعني عهدهم وهموا بإخراج الرسول ، وهو قائم الزمان ، وهم بدؤوكم أول مرة ، يعني دفعة الجامع ، فلا تخشوهم فمولانا جل ذكره أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين .
فما استتميت (156)كلامي لهم ، حتى صار مولانا جل ذكره وتجلى للعالمين بقدرته سبحانه ، فصعقت من في السموات والأرض ، فانقلبوا المنافقين على أعقابهم خائبين ، فلمولانا الحمد والشكر أبد الآبدين) (157).
ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنقول : أن الحاكم كان يشرف على توجيه الدعوة ، ويشترك في تنظيمها وتغذيتها بطريقة فعلية ، وهذا ما يذكره لنا حمزة في رسائله ، فمثلا ً في رسالة (البلاغ والنهاية) يقول ما يلي : (تأليف عبد مولا جل ذكره ، هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين بسيف مولانا جل ذكره ، رفع نسختها إلى الحضرة اللاهوتية بيده في شهر المحرم الثاني من سنينه المباركة) (158).
ويقول في رسالة (الصبحة الكائنة) ما يلي : (فتأييد مولانا سبحانه واصل إلي ، ورحمته وأفضاله ظاهرة وباطنة علي ، وجميع أصحابي المستجيبين عزيزين مكرمين في الشرطة ، والولاية ، وأصحاب السيارات ، مقضون الحوائج دون سائر العالمين ، ورسلي واصلة بالرسائل والوثائق إلى الحضرة الا لاهوتية التي لا تخفى عنها خافية ، لا في السر ، ولا في العلانية ، وقد أوعدني مولانا جلت قدرته في ظاهر الأمر مضاقًا إلى مواعيده الحقيقة التأييدية ، وهو منجز مواعيده وقت يشاء كيف يشاء بلا تقدير عليه)

(155) يبدأ حمزة بإيراد هذه الآيات من سورة التوبة بشكل محرف وحسب ما يريد ويبغي والآيات الصحيحة هي كما يلي : (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم بعد عهدهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تحشوه أن كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) . [التوبة : 112 – 114] .
(156) هكذا وردت والصحيح (استتمت) .
(157) رسالة الغاية والنصحية .
(158) رسالة البلاغ والنهاية .

.(159)
غير أن مطاردة دعاة الحاكم وتمزيقهم بهذه القسوة من الناس ، دون إكتراث لما أولاهم به من رعاية ظاهرة ، قد أثار في نفسه غضبًا على الجند والناس ، لأنهم تجارأوا على ذلك ، وعول على الانتقام لنفسه وللدعاة .
وينقل الأستاذ محمد عبد الله عنان عن الوزير جمال الدين في (أخبار الدول المنقطعة) تفصيلا ً دقيقًا لما حدث فيقول : (اعتزم الحاكم أن ينكل بمصر وأهلها ، فاستدعى العرفاء والقادة ونظم معهم خطة العمل ، وعهد إلى مقدمي العبيد وغيرهم من الطوائف بافتتاح الهجوم ، فأخذوا يغيرون على أحياء مصر في هيئة عصابات ، وينهبون الحوانيت والسابلة ، ويخطفون النساء من الدور ، والشرطة تغضي عن جرائمهم ، والحاكم معرض عن كل شكاية وتضرع ، وكان ذلك في جمادي الآخرة سنة 411 هـ .
ثم اتسع نطاق الاعتداء ، فهاجمت قوى العبيد والترك والمغاربة مصر من كل صوب ، وأضرموا النار في أطرافها ، وهب أهل مصر للدفاع عن أنفسهم ، واستمرت المعارك بين الفريقين ثلاثة أيام ، وألسنة اللهب تنطلق من المدينة القديمة إلى عنان السماء ، والحاكم يركب كل يوم إلى الجبل ، ويشاهد النار ، ويسمع الصياح ، ويسأل عن حقيقة الأمر ، فيقال له : إن العبيد يحرقون مصر وينهبونها ، فيظهر الأسف والتوجع ، ويقول : ومن أمرهم بهذا لعنهم الله ؟ ! .
وفي اليوم الرابع اجتمع الأشراف والكبراء في المساجد ورفعوا المصاحف وضجوا بالبكاء والدعاء ، فكف الأتراك والمغاربة عن متابعة الاعتداء ، واستمر العبيد في عدوانهم ، وأهل مصر يدفعونهم بكل ما استطاعوا . وطلب الأتراك والمغاربة إلى الحاكم أن يأمر بوقف هذا الاعتداء على أهل مصر ، وعلى أموالهم ، خصوصًا وأن لهم بين المصريين كثيرًا من الأصهار والأقارب ، ولهم في مصر كثير من الأملاك ، فتظاهر بإجابة مطلبهم ، ولكنه أوعز إلى العبيد أن يستمروا في القتال ، وأن يتأهبوا لمدافعة الترك والمغاربة، فاشتدت المعارك بين الفريقين ، ودافع الترك والمغاربة عن أهل مصر ، ومزقوا جموع العبيد ونكلوا بهم ، ثم هددوا الحاكم باقتحام القاهرة وحرقها ، إذا لم يوضع حد لتلك الجرائم ، فخشى الحاكم العاقبة ، وأمر العبيد بالتفرق ولزوم السكينة ، واعتذر لأشراف مصر وزعماء الترك والمغاربة عما وقع ، وتنصل من كل تبعة فيه ، وأصدر أمانًا لأهل مصر قريء على المنابر .
وسكنت تلكك الفتنة الشنعاء بعد أن لبثت الفسطاط بضعة أسابيع مسرحا لمناظر مروعة من السفك والعبث والنهب ، وأحرقت معظم شوارعها ومبانيها ،

(159) رسالة الصبحة الكائنة .

وخربت معظم أسواقها ، ونهبت ، وسبي كثير من نسائها ، واعتدى عليهن ، وانتحر كثير منهن خشية العار ، وتتبع المصريون أزواجهم وبناتهم وأمهاتهم وافتدوهن من الخاطفين) (160).

وبأسلوب آخر ، يؤكد حمزة هذه الحوادث ، وأنها كانت انتقامًا لما حصل للدعاة من تنكيل وتمزيق ، فيقول في رسالة (الرضى والتسليم) : (لأنه سبحانه أنعم عليكم ما لم ينعم على في الأدوار ، وأظهر لكم من توحيده وعبادته ، ما لم يظهره في عصر من الأعصار ، وأعزكم في وقت عبده الهادي ما لم يعز أحدًا في الأقطار ، ولم يكن لصاحب الشرطة والولاية والسيارات عليكم سبيل إلا بطريق الخير ، ثم إن المنافقين قتلوا من إخوانكم ثلاثة أنفر ، فأمر مولانا جل ذكره بقتل مائة رجل منهم ، والذي قال في القرآن النفس بـ النفس لا غير فلم تشكروه على ذلك ، ولم تعبدوه حق ما يجب عليكم من عبادته ، ولم تكن نياتكم خالصة لوحدانيته) (161).

ويحاول عدد من الكتاب المعاصرين ، الذين كتبوا عن الحاكم وعن الدروز ، أن ينفوا عن الحاكم كل هذه الأمور ، ويصوروها كأنها افتراءات من المؤرخين ، أو يجعلوا لها تبريرًا لا يستسيغه عقل ولا منطق .

من هؤلاء الكتاب الدكتور أحمد شلبي ، الذي حاول أن يصور أخبار شذوذ الحاكم واضطرابه ، على أنه اتفاق بين المؤرخين ، يأخذ الواحد قضية ، فيسلم بها الآخر ، وأن تاريخ الحاكم قد كتب أثر وفاته ، وقد عادت السلطة إلى من اضطهدهم ، الذين كان يهمهم أن يبرزوه معتوهًا أو مجنونًا أو مدعيًا لـ لألوهية ، ليصرفوا الناس عن البحث عن القتلة الذين قتلوا الحاكم ؟! .

بل يحاول الدكتور شلبي أن يبرر كل تصرفاته ، حتى إنه يجعله مخلصًا لدولته كفؤًا لحمل أعبائها ، وهو في القمة من المفكرين في إنشائه دار الحكمة (162).

ولا أدري على ماذا اعتمد الدكتور شلبي ، في دفاعه القوي عن الحاكم ، ولكن يبدو أن معلومات الدكتور فيليب حتي ، أقوى عنده من كل ما كتبه المؤرخون ؟!

وهناك قضية أخرى يحاول بعض الكتاب إيرادها ، وهي صلة الحاكم بحمزة بن

(160) محمد عبد الله عنان - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص 119 – 120 .
(161) الرسالة الموسومة بالرضا والتسليم .
(162) د. أحمد شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ص 116 – 122 .

علي وغيره من الدعاة ، وهذا ما يحاول الأستاذ عبد الله النجار (163)أن ينفيه في كتابه (مذهب الدروز والتوحيد) ، مع أن الدروز حتى الوقت الحاضر ينفون مثل هذه الأقوال ، ويعتبرونها تقويضًا للمذهب التوحيدي ، ففي كتاب (أضواء على مسالك التوحيد) يورد بايزيد في توطئته للكتاب ، وفي معرض رده على ما كتبه الأستاذ عبد الله النجار في كتابه يقول :
(ونرى المؤلف الكريم يسعى إلى التفرقة والفصل بين حمزة بن علي والحاكم بأمر الله ، وإنكار صلة الحاكم بالمذهب وانتسابه إليه . وفي ذلك ما فيه ، علاوة على نية تقويض أساس المعتقد العرفاني ، والمذهب التوحيدي (أي الدرزية) ، كما هو مشهور ومعلوم ، قد أخذ وغرف المحتوى الأخير لمنهجه ولعقيدته ودعوته من مجالس الحكمة ، التي كانت تعقد في حضرة مولانا الحاكم وتوجيهه ، وفي دار الحكمة التي أسسها على غرار أكاديمية أفلاطون عليه السلام ؟!) (164).
وهناك رسالة من رسائل حمزة ، عنوانها (الرسالة المنفذة إلى القاضي أحمد بن العوام) (165)، (تثبت أن حمزة أصبح في مكانة استطاع منها أن يخاطب قاضي القضاة بمثل هذا الخطاب) (166) ، (وتدل على مدى المكانة التي بلغها حمزة في ذلك التاريخ) (167)، ولو لم يكن وراء حمزة من يحميه ويدفع عنه الأذى ما كان يجرؤ على كتابة مثل هذا الخطاب ، يقول حمزة في هذه الرسالة : (توكلت على أمير المؤمنين جل ذكره ، وبه أستعين في جميع الأمور ، معل علة العلل ، صفات العلة بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد أمير

(163) سياسي لبناني ، من طائفة الدروز ، تقلد عدة مناصب رفيعة في الدولة اللبنانية ، وألف كتابا عن الدروز أسماه (مذهب الدروز والتوحيد) ، حاول فيه أن يبين ويظهر عقيدة طائفته للناس والجهال طائفته ، ولكن الدروز ، وخاصة مشيخة العقل ، هاجموه بشدة ، وأتلفوا كتابه ، حتى طبع مرة ثانية في مصر ، ولكنهم عادوا وحاولوا جمع ما يستطيعون منه وإتلافه ، وأصدروا كتابا للرد عليه اسمه (أضواء على سلك التوحيد) للدكتور سامي مكارم ، ولم يكتفوا بذلك ، فاستغلوا أحداث لبنان الأخيرة وقتلوه غيلة عام 1978 م .
(164) د . سامي مكارم / أضواء على مسلك التوحيد (الدرزية) ص 72 ، 73 .
(165) أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام السعدي . قاضي مصر وبرقة وصقلية والشام والحرمين ، من فقهاء الحنابلة ، مصري ، ولي القضاء في أيام الحاكم بمصر سنة 405 هـ ، وفي أيامه غاب الحاكم (أو قتل) ، توفي سنة 418 هـ ، انظر الأعلام للزركلي ج 1 ص 104 .
(166) د . محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 81 .
(167) د . عبد الرحمن بدوي / مذاهب الإسلاميين ج 2 ص600 .

المؤمنين ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين بسيف أمير المؤمنين وشدة سلطانه ، ولا معبود سواه ، إلى أحمد بن محمد بن العوام ، الملقب بقاضي القضاة ، أما بعد :
فقد تقدمت لنا إليك رسالة نسألك عن معرفتك بنفسك ، فقصرت عن الإ ِجابة ، قلة علم منك بالحق وإهجانًا به ، وكيف يجوز لك أن تدعي هذا الا سم الجليل وهو قاضي القضاة ، وليس لك علم بحقائق القضايا والأحكام ، فقد صح بأنك مدع لما أنت فيه ، فيجب عليك أن تعلم نفسك وتدربها ، فإن كنت قد جهلتها فأنت فرعون الزمان ، وفعلك لاحق بعثمان بن عفان ، فيجب عليك أن تقلع عما أنت فيه ، وتتبع سير أصحابك المتقدمين أبي بكر وعمر (168) ، وتزيل تلثيمة البياض عن رأسك والعمامة والطيلسان ، وتلبس دنية سوداء بشقائق صفر طوال مدلاة على صدرك ، وتلبس درّاعة بلا جيب ، بل تكون مشقوقة الصدر ، وتكون مرقعة بالأحمر ، والأصفر ، وا لأديم الأسود الطائفي ، وتكون قصيرة عليك لتلحق في الشكل بعمر بن الخطاب ، ويكون لك درة على فخذك لتقيم بها الحدود على من تجب عليه وأنت جالس في الجامع ، ويكون لك في كل سوق صاحب يتزيي بزيك وبيده درة يقيم بها في سوقه الحدود على من وجبت عليه مثل الزاني والسارق و القاذف وشارب الخمر ، ممن هو من أهل ملتك ، وتكون تتولى الخطبة بنفسك ، وتطلع على المنبر بلا سيف تتقلد به ، ويكون ممرك ومجيئك من دارك إلى الجامع ، وأنت ماش حافيًا لتكون في ذلك لاحقًا بأصحابك المتقدمين أبي بكر وعمر .
وإياك ثم إياك أن تنظر لموحد في حكم لاأنت ولا عادلتك ، في شهادة نكاح و لا طلاق ، ولا وثيقة ، ولا عتق ، ولا وصية ، ومن جلس بين يديك على حكم فتسأل عنه أن يكون موحدًا فترسله إليّ مع رجالتك لأحكم أنا عليه بحكم الشريعة الروحانية (169)، التي أطلقها أمير المؤمنين سلامة علينا ، فانظر لنفسك فقد أعذرتك مرة بعد أخرى وأنذرتك) (170).
وإلى هذه الرسالة يشير حمزة في رسالة (البلاغ والنهاية) فيقول : (وقد

(168) والملاحظ هنا ، أن حمزة بن علي ، مع طعنه بعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقد طلب من هذا القاضي أن يتشبه في زيه وعلمه بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، و لا يخلو نصحه هذا من تبكيت وغمز بعمر وأبي بكر .
(169) ومن هنا يظهر أن حمزة بن علي فرق بين (جماعته) من جهة ، وبين السنة و الشيعة من جهة أخرى ، وذلك من منعه للقاضي أن يقضي بين الموحدين .
(170) الرسالة المنفذة إلى القاضي أحمد بن العوام .

أرسلت إلى القاضي عشرين رجلا ً إلى الحضرة (171)اللاهوتية ، فأبى القاضي واستكبر ، وكان من الكافرين ، واجتمعت على غلماني ورسلي الموحدين لمولانا جل ذكره ، زهاء مائتين من العسكرية والرعية ، وما منهم رجل إلا ومعه شيء من السلاح فلم يقتل من أصحابي إلا ثلاثة نفر وسبعة عشر رجلا ً من الموحدين ، في وسط مائتين من الكافرين (172)، فلم يكن لهم إليهم سبيل حتى رجعوا إلى عندي سالمين) (173).

وفي ختام هذا الفصل نقف وقفة طويلة مع رسالة حمزة بن علي بن أحمد الموسومة (بكتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل) ، وقد رأيت أن أنقل هنا نص هذه الرسالة ، ليتبين لنا مدى تأثر العقيدة الدرزية بأفعال وأقوال الحاكم ، والتي يعتبرونها دليلا ً على ألوهيته ، حيث تلمس لها حمزة تأويلات باطنية ، (واتخذ منها دلالات على صدق ألوهية الحاكم ، وأن كل ما أتى به الحاكم هو رمز وإشارة وله تأويل باطني لا يفقهه الناس) (174)، ولهذه الرسالة أهمية خاصة فيما يتعلق بتأييد الأخبار المروية في كتب المؤرخين عن أفعال الحاكم الغريبة ، إذ فيها تأييد لها وتوكيد ، ودليل قاطع على أن هؤلاء المؤرخين لم يفتروا شيئًا ولم ينقلوا إشاعات كاذبة) (175).

وفيما يلي نص هذه الرسالة : (الحمد لمولانا وحده ، وشدة سلطانه ، توكلت على مولانا الباري العلي العلام الأعلى ، حاكم الحكام ، من لا يدخل في الخواطر والأوهام ، جل ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام . بسم الله الرحمن الرحيم ، صفات عبده الإ ِمام ، الحمد والشكر لمولانا – جل ذكره – وبه أستعين في الدين والدنيا وإليه المعاد ، الذي يحي ويميت ، وهو الحي الذي لا يموت ، الذي هو في السماء عال ، وفي الأرض متعال ، حاكمًا ، عليه توكلت ، وبه أستعين ، وإليه المصير ، وهو المعين ، وصلوات مولانا جل ذكره وسلامه على الذي اصطفاه من خلقه واختاره من عبيده ، وجعلهم الوارثين لديار أعدائهم بقوته وسلطانه ، الحاكم ، القادر ، العزيز القاهر ، وهو على كل شيء قدير .

---

(171) هكذا وردت في المخطوط ، ولعله يقصد (من) .
(172) ويبدو أنه يشير إلى ثورة الناس على أتباعه ، وقتلهم لهم ، والنجاء الباقي إلى الحاكم .
(173) رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد.
(174) د . محمد كامل حسين / طائفة الدروز ص 44 .
(175) د . عبد الرحمن بدوي / مذاهب الإسلاميين ج 2 ص 757.

أما بعد ، معاشر الإخوان الموحدين ، أعانكم المولى على طاعته ، إنه وصل إليّ من بعض الإخوان الموحدين – كثر المولى عددهم وزكى أعمالهم ، وحسن نياتهم – رقعة يذكرون فيها ما يتكلم به المارقون من الدين ، الجاحدون لحقائق التنزيه ، ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل أفعاله الردية ، وما تميل إليه أديانهم الدنية – فيما يظهر لهم من أفعال مولانا – جل ذكره – ونطقه ، وما ييجري قدامه من الأفعال التي فيها حكمة بالغة شتى فيما تغني النذر (176)، وتمييز العالم الغبي الذين من أعمالهم الهزل ، وأقوال فيها صعوبة وعدل ، ولم يعرفوا بأن أفعال مولانا – جل ذكره – كلها حكمة بالغة ، جدًا كانت أم هزلا ً ، يخرج حكمة ويظهرها بعد حين ، ولو تدبروا ما سمعوه من الأخبار المأثورة عن جعفر بن محمد بن علي بن عبد مناف بن عبد المطلب (177): (إياكم الشرك بالله والجحود له ، بما يختلج في قلوبكم من الشك في أفعاله كيفما كانت ، ولا تنكروا على الإمام فعله ، ولو رأيتموه راكبًا قصبة ، وقد عقد ذيله خلف ثوبه ، وهو يلعب مع الصبيان بالكعاب ، فإن تحت ذلك حكمة بالغة للعالم وتمييزًا للمظلوم من الظالم) .

فإذا كان هذا القول في جعفر بن محمد ، وجعفر وآباؤه وأجداده كلهم عبيد لمولانا جل ذكره ، فكيف أفعال من لا تدركه الأوهام والخواطر بالكلية ، وحكمته اللاهوتية التي هي من رموزات وإشارات لبطلان النواميس ، وهلاك الجواميش ، وتمييز الطواويس ، فلمولانا الحمد على ما أنعم به علينا بعد استحقاق نستحقه عنده ، وله الشكر على ما أظهر لنا من قدرته خصوصًا دون سائر العالمين إنعامًا وتفضلا ً ، ونسأله العفو والمغفرة بما يجري منا من قبائح الأعمال وسوء المقال ، ونعوذ به من الشرك والضلال ، إنه ولي ذلك و القادر عليه ، وهو العلي المتعال ، ولو نظروا إلى أفعال مولانا جلت قدرته بـ العين الحقيقية ، وتدبروا إشاراته بالنور الشعشعاني ، لبانت لهم الألوهية و القدرة الأزلية ، والسلطان الأبدية ، وتخلصوا من شبكة إبليس وجنوده الغوية ، ولتصور لهم ركوب مولانا – جل ذكره – وأفعاله ، وعلموا حقيقة المحض في جده وهزله ، ووقفوا على مراتب حدوده ، وما تدل عليه ظواهر أموره ، جل ذكره وعز اسمه ولا معبود سواه .

فأول ما أظهر من حكمة ما لم يعرف له في كل عصر وزمان ، ودهر وأوان ، وهو ما ينكره العامة من أفعال الملوك : من تربية الشعر ، ولباس الصوف ،

(176) يشير إلى الآية الكريمة (حكمة بالغة فما تغن النذر) سورة القمر آية 5 .
(177) والملاحظ هنا كيفية إيراده لنسب جعفر ، ونسبة على إلى جده عبد مناف ، وسنلاحظ أن جميع رسائله يذكر نسب على رضي الله عنه بهذا الشكل ؟! .

وركوب الحمار بسروج غير محلاة لا ذهب ولا فضة .
والثلاث خصال معنى واحد في الحقيقة ، لأن الشعر دليل على ظواهر التنزيل ، والصوف دليل على ظواهر التأويل ، والحمير دليل على النطقاء (الأنبياء) (178)، بقوله لمحمد : (يا بني أقم الصلاة وآت الزكاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ... ، إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس) (179)، (ولا تمش في الأرض مرحًا ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) (180).
كل ذلك كان عند ربك محذورا ، وانقص من مشيك ، (واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (181).
والعامة (182)يرون أن هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده ، فكذبوا وحرفوا القول ، إنما هو قول السابق ، وهو سلمان ، وإنما سمي الناطق ولده لحد التعليم والمادة ، إذ كان سائر النطقاء والأوصياء أولاد السابق المبدع الأ ول ، وهو سلمان ، فقال لمحمد :
(أقم الصلاة) إشارة إلى توحيد مولانا جل ذكره ، (وآت الزكاة) يعني طهرقلبك لمولانا جل ذكره ولحدوده ودعاته . (وأمر بالمعروف) وهو توحيد مولانا جل ذكره ، (وانه عن المنكر) يعني شريعته وما جاء به من الناموس و التكليف ، (إن ذلك من عزم الأمور) يعني الحقائق وما فيها من نجاة الأرواح من نطق الناطق ، (ولا تصعر خدك للناس) وخده وجه السابق ، وتصغيره ستره فضيلته ، (ولا تمش في الأرض مرحًا) والمرح هو التقصير واللعب في الدين ، والأرض هاهنا هو الجناح الأيمن ، والأيمن هو الداعي إلى التوحيد المحض ، (إنك لن تخرق الأرض) يعني بذلك ، لن تقدر عليك تبطيل دعوة التوحيد ، (ولن تبلغ الجبال طولا) والجبال هم الحجج الثلاثة الحرم ، ورابعهم : السابق الذي يعبده العالم دون الثلاثة .

---

(178) يطلق حمزة غالب على الأنبياء هذا الاسم ؟! .
(179) سورة لقمان آية 17 ، 18 ، وقد أنقص من الآية الأولى بعد (انه عن المنكر) (واصبر على ما أصابك) وزاد (وآت الزكاة).
(180) الإسراء : 37 .
(181) سورة لقمان آية 19 ، غير أن كلامه هنا يخالف نص القرآن الكريم في سورة لقمان بقوله تعالى : { يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأ صوات لصوت الحمير } . سورة لقمان ، آيات 17 ، 18 ، 19 .
(182) إن لفظ العامة عند إطلاقه عند عموم الشيعة يقصد به أهل السنة ، ويقابله عندهم عن أنفسهم لفظ الخاصة .

وأجلهم الحجة العظمي ، واسمه في الحقيقة : ذومعة ، لأن قلبه وعى التوحيد والقدرة من مولانا جل ذكره بلا واسطة بشرية ، (وانقص من مشيك) (183)يعني اخفض من دعوتك في الظاهر ، الذي يمشي في العالم مثل دبيب النملة السوداء على المسح الأسود في الليلة الظلماء ، وهو الشرك بذاته .
مثل النار إذا وقعت في التبن لا يشعر بضوئها إلا بعد هلاكه ، كذلك محبة الشريعة والإ ِصغاء إلى زخرفه ، والتعلق بناموسه ، يعمل في الأعضاء ويجري في العروق ، كما قال بلسانه وقوة بأسه وسلطانه ، ولطافه تجري في العروق مجاري الدم حتى يتمكن في القلب ويغري سائر العالمين .
وقال الناطق : (184) (ما زج حبي دماء أمتي ولحومهم ، فهم يؤثرونني على الآباء والأمهات) ، فرأينا الخبرين واحدا معناهما . وقد قال القرآن : (قل أعوذ برب الناس) (185) ورب الناس هاهنا هو التالي ، وهو في عصر محمد : المقداد (186)، (ملك الناس إله الناس ، من شر الوسواس الخناس) (187)يعني زخرف الناطق ، (الذي يوسوس في صدور الناس) (188)، يعني الدعاة والمأذونين والمكاسرين ، حتى يردهم عن توحيد مولانا الحاكم بذاته ، المنفرد عن مبدعاته ، جل ذكره .
والذات هو لاهوته الحقيي ، الذي لا يدرك ولا يحس ، سبحانه وتعالى .
(واغضض من صوتك) يعني بذلك اخفض وانقص واستر نطقك بالشريعة (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) يعني الدعوة الظاهرة ، (لصوت الحمير) : يعنى بذلك أشر كلام وأفحشه نطق الشرائع المذمومة في كل عصر وزمان ، فمنهم تظهر الشكلية والضدية والجنسية .
فأظهر مولانا جل ذكره لبس الصوف ، وتربية الشعر وهو دليل على ما ظهر من استعمال الناموس الظاهر ، وتعلق أهل التأويل بعلي بن أبي طالب وعبادته .
وركوب الحمير دليل على إظهار الحقيقة على شرائع النطقاء ، وأما السروج بلا ذهب ولا فضة فدليل على بطلان الشريعتين : الناطق والأساس (189).

(183) حرفت الآية الكريمة والأصل (واقصد في مشيك) .
(184) يعني محمد صلى الله عليه وسلم .
(185) الناس : 1 .
(186) هو المقداد بن عمرو ، ويعرف بابن الأسود ، صحابي ، من الأبطال ، وهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله ، شهد بدرا وغيرها ، وسكن المدينة وتوفي فيها سنة 33 هـ .
(187) الناس آيات 2 – 4 .
(188) الناس آية 5.
(189) يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

واستعمال حلي الحديد على السروج دليل على إظهار السيف على سائر أصحاب الشرائع وبطلانهم . واستعمال الصحراء في ظاهر الأمر ، وخروج مولا نا جل ذكره في ذلك اليوم من السرداب إلى البستان ، إلى العالم دون سائر الأ بواب .

والسرداب والبستان الذي يخرج مولانا جل ذكره منهما ليس لأحد إليهما وصول ، ولا له بهما معرفة ، إلا أن يكون كمن يخدمهما أو خواصهما . وهو دليل على ابتداء ظهور مولانا سبحانه بالوحدانية ومباشرته بالصمدانية بـ الحدين اللذين كانا خفيين عن سائر العالمين ، إلا لمن يعرفهما بالرموز والإ شارات ، وهما الإ رادة والمشيئة ، كما قال : (إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ... كل شيء وإليه ترجعون) (190)، والإرادة هي ذومعة ، والمشيئة تالية ، كما قال : (وما تشاؤون إلا أن يشاء اللّه) (191)، فليس يعرفهما إلا الموحدون لمولانا جل ذكره .

ومن السرداب يخرج إلى البستان ، كذلك العلم يخرج من ذي معة إلى ذي مصة ، الذي هو بمنزلة الجنة صاحب الأشجار والأنهار ، ثم يخرج منها إلى المقس (192)، فأول ما يلقى بستان برجوان (193)، وهو المعروف بالحجازي ، فلا يدخله ، ولا يدور حوله في مضيه ، وهو دليل على الكلمة الأزلية .

ثم يمضي إلى البستان المعروف (بالدكة) وهي دليل على السابق ، وهو دكة العالم ، وعلومهم منهم ، وهذا البستان المعروف بالدكة ، على شاطيء البحر ، وكذلك علم التأويل ممثوله البحر ، والمستجيب للعهد إذا بلغ علم السابق ومعرفته ، حسب أنه قد بلغ الغاية والنهاية في العبادة .

وبستان الدكة ، مع جلالته ، ملاصق لموضع الفحشاء والمنكر ، دون سائر البساتين ، دليل على أن علم السابق واصل بالنطقاء ، الذين هم معادن النواميس الفانية الحشوية ، والأعمال الفاحشة الدنية .

والمقس دليل على الناطق ، وما في المقس من الفحشاء والمنكر دليل على شريعته ، والنساء الفاسدات اللواتي فيه ، دليل على دعاة ظواهر شريعته ،

---

(190) يس آية 82 ، وقد أسقطت من الآية كلمة (ملكوت) قبل (كل شيء) .

(191) الإنسان 30 ، سورة التكوير آية 29 .

(192) مكان في الجهة الغربيه للقاهرة ، وكانت بساتين يحدها من الغرب النيل ، وفيه جامع المقس ، واسم المقس يطلق على المكس ، والمقسم ، وأم دنين أيضا ، وهي واقعة على شاطيء النيل .

(193) بستان برجوان ، ويقصد برجوان الصقلبي الخادم ، وحامل المظلة للحاكم ، وقد قتله الحاكم وكان له بستان يعرف ببستان برجوان .

وارتكابهم الشهوات البهيمية في طاعته .
ثم إنه علينا سلامه ورحمته ، يخرج إلى الصناعة (194)ويدخل من بابها ، ويخرج من الآخر . والصناعة دليل على صاحب الشريعة ، والصناعة ممنوعة من دخول العالم فيها والخروج لإضافة الشريعة ، فدخول مولانا جل ذكره فيها من باب وخروجه من باب ، دليل على تحريم الشريعة وتعطيلها .
ثم إنه – علينا سلامه ورحمته – يدور حول البستان المعروف بالحجازي ، وهو دليل على الكلمة الأزلية ، والدوار حوله بلوغ إلى الكشف بلا سترة تحوط بالدين ، ثم إنه – جل وعز سلطانه – يبلغ إلى القصور ، وهما قصران عظيمان خرابان دليل على بطلان الشريعة وخرابها .
ثم إنه – علينا سلامه ورحمته – يدخل من باب البستان المعروف بالمختص ، وهو دليل على التالي ، إذ كان التالي مختصًا بعلمه الأساسي والتأويل . وأكثر العالم يميلون إليه ، وهو هيولي العالم الجرماني .
ومن الشيعة من يعتقد ويعبد التالي ، ومن الشيعة من يقول بأن التالي مولانا ، وهذا هو الكفر والشرك . وإنما هو التالي الذي عجز الناس عن معرفته ، وهو الجنة المعروفة بالمختص ، متصلة بالجنة المعروفة بالعصار . والعصار دليل على الناطق ، لأنه يعصر علم التالي فيخرج منه الحقيقة والتوحيد ، فيكتمه عن العالم الغبي ويظهر لهم الثفل ، وهو الكسب (195)الذي لا ينتفع به غير البهائم .
كذلك البستان المعروف بالعصار ، وهو خراب من الفواكه والأشجار والرياحين والأثمار ، وبستان المختص عامر بالفاكهة والأزهار ، والرياحين والأشجار ، ومنه يخرج الماء إلى الحوض الذي تشرب منه البهائم . والماء هو العلم ، و الحوض هو المادة الجارية من التالي ، والدواب هم النطقاء والأسس . كذلك العلم يخرج من التالي إلى الأساس في كل عصر وزمان ، والسابق ممد الناطق ، ومن الفاتق إلى الراتق ، ومن السابق إلى الطالب الطارق .
وهذان البستانان بين المسجدين المعروفين بمسجد تبر (196)، ومسجد

---

(194) يقصد دار الصناعة .
(195) وهي التفل الذي يتخلف عن المواد التي تعصر مثل السمسم والقمح وبذر القطن ، وما شابه ذلك ، وتقدم علفا للبهائم ، وقد جرى الآن تجفيفها بطرق صناعية ، وأصلها فارسية (كشب) ، قال في لسان العرب هي عصارة الدهن ، غير أن المعروف الآن ما ذكر أولا .
(196) مسجد قرب القاهرة بجانب منطقة (المطرية) ، وينسب إلى تبر الأخشيدي ، الذي ثار على كافور الأخشيدي ، ودفن في هذا المسجد .

ريدان (197)، فمسجد ريدان محاذي بستان العصار ، ومسجد تبر محاذي بستان المختص .
ومسجد تبر دليل على الناطق ، والتبر دليل على الذهب ، والذهب دليل على إذهاب شريعته ، وهذا المسجد لم تصل فيه صلاة جماعة قط ، دليل على أن ليس للناطق ولا لمن تبعه اتصال بالتوحيد .
ومسجد ريدان ، دليل على حجة الكشف القائم بالسيف والعنف ، الداعي إلى التوحيد المنكر عند سائر العالمين ، كما نطق عبد مولانا جل ذكره في القرآن على لسان الناطق السادس (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) (198)، وهو عبادة مولانا جل ذكره وتوحيده ، الذي أنكره سائر النطقاء والأسس أئمة الكفر ، كما قال عبد مولانا – جل ذكره – في كتابه (قاتلوا أئمة الكفر ، إنهم لا أيمان لهم ، لعلهم ينتهون) (199).
أراد لا أيمان لهم بمعرفة مولانا – جل ذكره – والإ ِيمان هو التسديق (التصديق) (200).
وتوحيد مولانا – جل ذكره – صعب مستصعب ، لا يحمله نبي مرسل ، ولا وصي مكمل ، ولا إمام معدل ، ولا ملك مفضل . بل يحمله قلب صاف لبيب ، أو موحد راغب من الأديان والطرائق ، وعبد مولى الأساس والناطق ، ومبدع التالي والسابق الحاكم على جميع النطقاء والشرائع ، المنفرد عن جميع المخلوقات والبدائع .
ولكل شيء ضد بين يديه ، فبإزاء الباطل ، الذي هو جنة العصار ، وهو دليل على الناطق حتى يرفع وهو مسجد ريدان ، وهو ذومعة ، وبإزاء الحق الذي هو جنة المختص وهو التالي باطل يطلب فساده ، وهو مسجد تبر ، وهو الناطق ، والمولى جل ذكره ينصر أولياءه ، ويهلك أعداءه ، ويتم نوره ولو كره المشركون المتعلقون بعلي بن عبد مناف (201)، والكافرون المتعلقون بالناطق وعدمه .
وريدان خمسة أحرف ، دليل على خمسة حدود ، النفسانيين ، والنورانيين ، و

(197) الراجح أن نسبة هذا المسجد إلى ريدان ، الوزير الذي ولاه الحاكم الوزارة .
(198) القمر : 6.
(199) التوبة : 12.
(200) وجدت على هامش إحدى المخطوطات بخط الأستاذ زهير الشاويش – في مكتبته الخاصة – (أن كتابة الدروز الكلمة التصديق بالسين بدلا من الصاد في كل كتبهم مرتبط عندهم بحساب (الجمل) المستعمل عندهم وعند بعض المتصوفة لأغراض لا مجال لذكرها .
(201) يلاحظ هنا أنه نسب عليا إلى جده .

الروحانيين ، والجرمانيين ، والجسمانيين . وهو ذومعة العقل الكلي النفساني ، وذومصة ، النفس الروحاني والجناح الرباني ، والأيمن الباب الأعظم ، وهو السابق والتالي ، معدن العلوم ومنه ابتناؤها .
وريدان كلمتان ، (ري) و (دان) ، و (ري) الأشياء وهم الحجج والدعاة و المأذونين والمكاسرين ، كما قال عبد مولانا جل ذكره (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) (202)، الأشياء الحقيقية ، والذي الأزلي ، والتوحيد الأبدي على يد ريدان ، يوم الدين ، وهو عبد مولانا ومولى الخلق أجمعين ، جل ذكره ، وعز اسمه ، ولا معبود سواه ، سبحانه جل وعلا أن يكون ديان أو سلطان أو برهان أو الله أو الرحمن ، إذ كان الكل عبيده في سائر الأدوار ، المستغفرين له في الليالي والأسحار ، العابدين له طوعًا وكرهًا في العيان ، سبحانه عن إدراك الأوهام والخواطر ، أو يعرف الإ ِعلان والسرائر ، أو بباطن أو بظاهر ، إذ كان لا يدرك بعض ناسوته ، وقدرة مقام جبروته ، وعظم جلال لاهوته .
وما من المساجد مسجد سقطت قبته ، وهو المسجد بكماله غير مسجد ريدان ، فأمر مولانا سبحانه وتعالى بإنشاء قبته ، وزاد في طوله وعرضه وسموه دليل على هدم الشريعة الظاهر على يد عبده الساكن فيه (203). وإنشاء توحيد مولانا جل ذكره فيه بالحقيقة ظاهرًا مكشوفًا ، وابتداء الشريعة الروحانية في بسيط روحاني توحيدي لاهوتي حاكمي لا يعبدون غيره وحده ، ولا يشركون به أحدًا في السر والإ ِعلانية ، سبحانه وتعالى عما يقول المشركون علوًا كبيرًا (204) .
ثم إن مولانا علينا سلامه ورحمته ، ظهر لنا في الناسوت البشرية ، ونزوله عن الحمار إلى الأرض ، وركوبه محاذي باب المسجد ، دليل على تغيير الشريعة ، وإثبات التوحيد ، وإظهار الشريعة الروحانية على يد عبده حمزة بن علي بن أحمد ، ومملوكه وهادي المستجيبين المنتقم من المشركين ، بسيف مولانا وشدة سلطانه ، وحده لا شريك له .
ووقوفه في ظاهر الأمر ، وحاشاه من الوقوف والسير والجلوس والنوم و اليقظة ، (لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض) يعني النطقاء والأسس ، (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) يعني من ذا الذي يقدر على إطلاق داع أو مأذون إلا بمشيئته ، (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)

---

(202) يس : 12 .
(203) كان حمزة يسكن في هذا المسجد .
(204) يقصد الآية الكريمة (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) سورة الأسراء آية 17 .

يعني من آدم إلى محمد بن إسماعيل ، (ولا يحيطون بشيء من علمه) يعني حجته ، (إلا بما شاء) وهو المشيئة أعظم الدرجات ، (وسع كرسيه السموات والأرض) والكرسي هو التأييد الذي يصل إلى الحدود العالية ، (ولا يؤوده حفظهما) وهما الجناح الأيمن والجناح الأيسر ، (وهو العلي العظيم) (205)العالي على كل من تقدم ذكره ومن تأخر ممن ينتظرهم الشيعة المشركون .

وكان وقوفه عند الميل (206)، والميل دليل على التأييد ، إذ كانت الأميال يستدلون بها على الطريق ، كذلك التأييد بطرق العبد من المعبود ، ويعود إلى الوجود ، ونزوله إلى الأرض محاذي باب المسجد إشارة منه إلى عبد باب حجابه على خلقه ، والداعي إليه بتأييده وأمره ، إذ كان التأييد هو الأمر العالي الذي يكون بلا واسطة بشريه ، والباب دليل على الحجة .

ونزوله عن الحمار إلى الأرض وركوبه آخر كان في نفس آذان الزوال ، وصلاة الزوال دليل على الناطق ، وتغيير مولانا جل ذكره الحمار في نفس وقت الأ ذان ، دليل على إزالة الظاهر .

ويكون اعتمادهم من موضع تغييره ، وهو يسمى المقام المحمود ، والمشهد الموجود ، والمنهل العذب المورود إلى قصر مولانا الحاكم بذاته ، وهو المقام المحمود ، محاذي باب شريعة روحانية وعلوم حاكمية ، وأنا أذكرها لكم في غير هذا الكتاب إن شاء مولانا ، وبه التوفيق في جميع الأمور ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وهو حسبي ونعم النصير المعين .

ثم إن مولانا علينا سلامه ورحمته ، لابد له في كل ركبة من الإ ِعادة إلى البساتين المعروفين بالمقس ، دليل على إظهار النشوء الثالث الخارج من الكفر والشرك ، وهما الظاهر والباطن ، وهو توحيد مولانا جل ذكره .

ودخوله إلى القصر من الباب الذي يخرج منه ، والسرداب بعينه دليل على إثبات الأمر ، وكشف الطرائق بكتب الوثائق ، ورجوع الأمر إلى ما منه بدأ روحانية غير تكليفية ، ولا ناموسية شيطانية ، ولا زخرف هامانية ، أعاذنا المولى وإياكم من الشك فيه ، والشرك به بمننه وفضله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(205) سورة البقرة آية 255 (وهي آية الكرسي) ، وقد أسقطت كلمة (عنده) في قوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده).

(206) منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشراقها ، وقيل للأعلام المبنية في طريق مكة أميال لأنها بنيت على مقادير مدى البصر من الميل إلى الميل ، وكل ثلاثة أميال منها فرسخ . انظر لسان العرب ج 11 ص 639 .

وأما نزوله في ظاهر الأمر إلى مصر ، وما شاهدناه ، ففيها تمكن الشيطان الغوي لعنه اللّه من قلوب العامة الحشوية (207)، والعقول السخيفة الشرعية مما يسمعون من ألسن الركابية قدام مولانا جل ذكره بما يستقر في عقولهم السخيفة من كلام الهزل والمزاح ، ولم يعرفوا أن فيه (حكمة بالغة فما تغني النذر) (208) .
فأول مسيره إلى المشاهد الثلاثة ، وليس فيها آذان ولا إقامة ولا صلاة جماعية ، إلا في الأوسط الذي هو المنهج الأقوم ، والطريق الأسلم التي من سلكها نجا ، ومن تخلف عنها هلك وغوي .
ثم إنه علينا سلامه ورحمته ، يسير إلى راشده (209)، أيضًا ثلاثة مساجد متفاوتات في بنيانها ، وأحسن ما فيهم وأعلاهم وأفضلهم ، الذي يصلي الخطيب فيه يوم الجمة ، وتصلي فيه خمس صلوات على دائم الأيام ، وهو الوسطاني ، وهو دليل على توحيد مولانا جل ذكره ، وإثبات خمسة حدود علوية فيه ، وهو دليل على حجة الكشف .
والمسجدان اللذان معه متفاوتان في البناء ، دليل على الناطق والأساس ، وكذلك الناطق في ترتيب حدوده ، أفضل من الأساس ، والأساس أعظم شأنًا في ترتيب الباطن ورموزه من الناطق في المعقولات والبيان ، فلما ظهر التوحيد زالت قدرتها جميعا ، وسميت (راشدة) لأن بمعرفة الحجة وهدايته ، والأخذ منه يرشد المستجيبون ويبلغون نهاية توحيد مولانا جل ذكره .
ثم إن علينا سلامه ورحمته ، يدور حول هذا المسجد الوسطاني في ظاهر الأمر دليل على التأييد لعبده ، وقدام المسجد عقبة صعبة الصعود لمن يسلكها ، وليس إلى القرافة (210)محجة إلا على هذه العقبة دليل على البراء من الأبالسة ، أصحاب الزخرف والناموس وليس للعالم نجاة إلا بالبراءة منهم ، كما أن المحجة على هذه العقبة ، وهي صعبة مستصعبة لكن فيها افتكاك الرقبة ، وهو التخلص من الشريعتين الظاهر والباطن .
أما ما يرونه من وقوفه في الصوفية ، واستماعه لأغانيهم ، والنظر إلى

---

(207) هذا التعبير يستعمله الشيعة ، ويقصدون به ذكر أهل السنة ، وقد تبعهم على ذلك من غير وعي بعض الكتاب في القديم والحديث .
(208) سورة القمر آية 5 .
(209) يقصد جامع راشدة ، وهو الذي بناه الحاكم ، على القرب من (الرصد) ، وكان قبل ذلك جانب المكان الذي بني عليه جامع راشدة ، جامع بهذا الاسم ، ولما بني هذا الجامع سمي بهذا الاسم ، وهو نسبة إلى قبيلة عربية اسمها (راشدة).
(210) وهي مقبرة القاهرة ، وتسمى بهذا الاسم .

رقصهم ، فهو دليل على ما استعمل من الشريعة التي هي الزخرف واللّهو و اللعب ، وقدرنا هلاكهم .
وأما بئر الزئبق ، فهو دليل على الناطق ، من فوقه واسع ، ومن أسفله ضيق ، كذلك الشريعة دخولها سهل واسع ، والخروج منها صعب ضيق ، لكن من يقفز في هذا البئر ويعرف سره ويقف على معناه ، ويريد المولى نجاحه خرج من بابه ، وهو دليل على أساسه ، والوقوع في الشريعة لابد منه حتما لزما لكل أحد ، ويخلص المولى من يشاء برحمته منها ، كما قال الناطق في القرآن (وإن منكم إلا واردها) (211)يعني السابق ، (حتمًا مقضيا) ، (ثم ينجي الذين اتقوا) من الناطق (ويذر الظالمين) يعني أهل الظاهر ، (فيها جثيا) (212)يعني حيران حزينًا دائمًا .
ومن خرج من هذا البئر سالمًا أخذ من الحكام ما يستنفع به ، كذلك من كان تحت الشريعة وعلم التأويل ورموزه وتخلص من شبكتيهما جميعًا وعلم ما يراد منه ، وصل إلى التوحيد ، واستنفع بدينه ودنياه ، ومن قفز فيهما : ... لا قوة ، وهما السابق والتالي انكسرت رجلاه واندق عنقه ، دليل على أن من انقطع من السابق والتالي الذين هما الأصلان المحمودان وخالفهما (خسر الدنيا والآخرة ، ذلك الخسران المبين) (213).
وأما بئر الحفرة ، فهو دليل على الأساس ، وهو أشد عذابًا من بئر الزئبق ، وأتعب خرجا ، لأن من اعتقد الظاهر ، وهي الشريعة ، إذ بلغ الباطن اعتقد أنه ليس فوق الأساس شيء ، وأنه الغاية والمعبود ، فيبقى في العذاب الأبدي ، إلى أن يريد المولى منجاته ، فيحتاج الداعي أن يتعب معه من قبل أن يكسره ويجبره ويخرجه مما هو عليه من الكفر والشرك .
وأما لعب الركابية بالعصي والمقارع (214)، قدام مولانا جل ذكره فهو دليل على مكاسرة أهل الشرك والعامة وتشويههم بين العالم ، وإظهار أديانهم المغاشم ويكشف زيفهم باستجرائهم على المخاطبة بحضرته .
أما الصراع ، فهو دليل على مفاتحة الدعاة بعضهم لبعض ، وقد كان للعالم في

(211) مريم : 71 .
(212) يشير إلى الآية الكريمة (ثم نجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا) ، سورة مريم 72 .
(213) سورة الحج آية 11 ، وقد أسقط كلمة (هو) بعد كلمة (ذلك) .
(214) يقول الأستاذ زهير الشاويش عن هذا : (أنه من الأعمال التي مازالت حتى اليوم في مصر ويسمى (الضرب بالشوم) ويشبه إلى حد ما ، ما يسمى في الشام بلعب (الحكم) .

قتل سويد والحمام عبرة لمن اعتبر ، ونجاة من الشرك لمن تدبر ، لأنهما كانا رئيسين في الصراع ، ولكل واحد منهما عشيرة وأتباع وهما دليلان على الناطق والأساس ، وقتلهما دليل على تعطيل الشريعتين التنزيل والتأويل ، و الهوان بالطائفتين أهل الكفر والتلحيد .
وأما ما ذكره الركابية من ذكر الفروج والأحاليل ، فهما دليلان على الناطق والأساس ، وقوله : (أرني قمرك) يعني اكشف عن أساسك وهو موضع يخرج منه القذر ، دليل على الشرك فإذا كشف عن أساسه وأخرج قبله ، أي عبادة أساسه ، نجا من العذاب والزيغ في اعتقاده ، ومن شك هلك . كما أن الإ ِنسان إذا لم يبل ولا يتغوط أخذه القولنج فيهلك .
والنار ها هنا علم الحقيقة وتأييده جل ذكره فيحرق ما أتت به الشريعتان ، كما أنهم يحرقون فروج بعضهم بعضًا في النار ، دليل على احتراق دولتهما وانقضاء مدتهما ، وإظهار توحيد مولانا جل ذكره بغير شاك فيه ، لا يشرك به لا ناطق جسماني ، ولا أساس جرماني ، ولا سابق روحاني ، ولا تال نفساني ، ولا يبقى لمنافق جولة ، ولا لمشرك دولة ، ويكون أولو الأمر منكم وأهل الحساب منكم والمتصوفون في جميع الدواوين منكم ، والعمال منكم ، ويكون الموحدون لمولانا جل ذكره في نعيم دائم وإحسان غانم ، وملك قائم ... فعليكم معاشر الإخوان الموحدين لمولانا جل ذكره ، العابدين له وحده دون غيره بالحفظ لإ ِخوانكم ، والتسليم لمولانا جل ذكره ، والرضا بقضائه في السراء والضراء ، تنجوا من عذاب الدين وشقوة الدنيا ، بمنة مولانا وقوته) (215).
وهكذا نرى أن حمزة لم يأت بجديد في موضوع ألوهية الحاكم ، وإن فاق الكثير دهاء ومكرا وعداوة للإ ِسلام ، وتلاعبًا بالألفاظ وتآويل حلزونية .
وحمزة بعد هذا كله لم يأت بدليل على ألوهية الحاكم ، إذ لينه وتواضعه وكرمه دليل على اللاهوت ، وشجاعته وشدته دليل أيضًا ، بل سدل شعره وارتداؤه الصوف واللعب بالاحليل والفرج دليل كذلك .
وهكذا فإن الإ ِنسان العاقل وهو يقرأ هذه السخافات لا يستطيع إلا أن يرثي لحال هؤلاء الذين – لا يزال حمزة – يلعب بعقولهم فيؤمنون بأقواله وسخافاته ... ويقف حائرًا أو حزينًا أمام هذه الأقوال (المقدسة عندهم) وإلى تبتر الخيط الرفيع بين الدرزي والإ ِسلام ؟ ! .
*****

(215) كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل .

الفصل الثاني
تطوير المذهب الدرزي بعد الحكم

أشرنا فيما تقدم إلى شغف الحاكم بالطواف بالليل ، ولاسيما في جنبات جبل المقطم ، وكان يتوغل في الجبل ، (وفي ليلة الاثنين 27 شوال سنة 411 هـ (1021 م) خرج الحاكم كعادته للطواف – في الجبل ، وليس معه أحد إلا ركابي وصبي) (216).

ولكن الحاكم لم يعد ، وأرجح الروايات أن أخته ست الملك قد دبرت اغتياله ، وكما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي (فقد دفعها إلى تدبير اغتياله أمران :

1 – أنها لما رأت أعمال الحاكم الشنيعة ، خافت أن يخرب بيت الخلافة الفاطمية على يديه ، فقد كرهته قبيلة كتامة صاحبة الفضل الأكبر في قيام الدولة الفاطمية في المغرب ، والتي كانت لها مكانة عالية في مصر بعد فتحها ، بسبب إعدامه لكثير من وجهائها ، وحده من نفوذها ، كما كرهه أهل مصر لتصرفاته الشاذة ، وكرهه الجند أيضًا بسبب تصرفاته مع قوادهم ، ومعهم أنفسهم .

2 – أنها خافت على نفسها من بطشه ، إذ اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال ، وما أيسر أن ينفذ وعيده لها ، لهذا آثرت أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها) . (217)

وتؤكد الروايات التاريخية هذين الأمرين ، ومما أورده المؤرخون ما نقله ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة عن ابن الصابيء : (أن الحاكم لما بدت عنه هذه الأمور الشنيعة استوحش الناس منه ، وكان له أخت يقال لها ست الملك ، من أعقل النساء وأحزمهن ، فكانت تنهاه وتقول : يا أخي ، احذر أن يكون خراب هذا البيت على يديك . فكان يسمعها غليظ الكلام ويتهددها بالقتل ، وبعث إليها يقول : رفع إلي أصحاب الأخبار أنك تدخلين الرجال إليك وتمكنينهم من نفسك ، وعمل على إنفاذ القوابل لاستبرائها ، فعلمت أنها ه الكة) (218).

ويضيف ابن الجوزي في المنتظم : (وراسلت ست الملك قائدًا يقال له : ابن دواس (من شيوخ كتامة) ، كان شديد الخوف من الحاكم أن يقتله ، فقالت : إني أريد أن ألقاك ، إما أن تتنكر وتأتيني ، وإما أن أجيء أنا إليك فجاءت إليه ، فقبل الأرض بين يديها وخلوا ، فقالت له : لقد جئتك في أمر أحرس نفس

(216) ابن كثير : البداية والنهاية مجلد 6 ، ج 12 ، ص 10 .
(217) د . عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين مجلد 2 . ص 609.
(218) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج 4 . ص 186 .

ونفسك ، فقال : أنا خادمك ، فقالت : أنت تعلم ما يعتقده أخي فيك ، وأنه متى تمكن منك لم يبق عليك ، وأنا كذلك ، ونحن معه على خطر عظيم ، وقد انضاف إلى ذلك ما قد تظاهر به ، وهتكه الناموس الذي قد أقامه آباؤنا ، وزيادة جنونه ، وحمله نفسه على ما لا يصبر المسلمون على مثله ، فأنا خائفة أن يثور الناس علينا فيقتلوه ويقتلونا وتنقضي هذه الدولة أقبح القضاء . قال : صدقت فما الرأي ؟ قالت : تحلف لي وأحلف لك على كتمان ما جرى بيننا من السر وتعاضدني على ما فيه الراحة من هذا الرجل ، فقال لها : السمع و الطاعة ، فتحالفا على قتله وأنهما يقيمان ولده مقامه ، وتكون أنت صاحب جيشه ومديره ، وقالت : اختر لي عبدين من عبيدك تثق بهما على سرك وتعتمد عليهما في مهمك) (219).

ويقول ابن كثير : (فجهز من عنده عبدين أسودين شهمين ، وقال لهما : إذا كانت الليلة الفلانية فكونا في جبل المقطم ، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم ، وليس معه أحد إلا ركابي وصبي ، فاقتلاه واقتلاهما معه ، واتفق الحال على ذلك ... وفي تلك الليلة ركب وصحبه صبي وركابي ، وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذانك العبدان فأنزلاه عن مركوبه وقطعا يديه ورجليه ، وبقرا بطنه ، فأتيا به مولاهما ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها ، واستدعت الأمراء والأكابر والوزير وقد أطلعته على الجلية ، فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن علي ، ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله) (220).

ولكن ابن الأثير يقول : (أنه توجه إلى شرقي حلوان (221)ومعه ركابيان فأعادت أحدهما مع جماعة من العرب إلى بيت المال ، وأمر لهم بجائزة ، ثم عاد الركابي الآخر ، وذكر أنه خلفه عند العين والمقصبة . وبقي الناس على رسمهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه إلى سلخ شوال ، فلما كان ثالث ذي القعدة خرج مظفر الصقلبي ، صاحب المظلة وغيره من خواص الحاكم ، ومعهم القاضي ، فبلغوا عفان (222)، ودخلوا إلى الجبل ، فبصروا بالحمار

(219) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ج 7 . ص 298 ، 299 .
(220) ابن كثير : البداية والنهاية مجلد 6 ، ج 22 ، ص 10 .
(221) قرية من أعمال مصر ، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين ، مشرفة على النيل ، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر . انظر معجم البلدان ، ج 2 ، ص 293 .
(222) الظاهر أن المقصود هو الدير الذي في أعلى الجبل ، وهو مطل على الصحراء و النيل واسمه دير القصير (المكان المعروف قرب حلوان) .

الذي كان عليه راكبًا ، وقد ضربت يداه بسيف وعليه سرجه ولجامه ، فاتبعوا الأثر ، فانتهوا به إلى البركة التي شرقي حلوان ، فرأوا ثيابه ، وهي سبع قطع صوف وهي مزررة بحالها لم تحل ، وفيها أثر السكاكين فعادوا ولم يشكوا في قتله) (223).

وينفي المقريزى هذه الروايات ويقول : (وقيل أن أخته قتلته ، وليس بصحيح) (224).

ويروي أيضًا عن المسبحي : (وفي محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقيل له : لم قتلته ؟ فقال : غيرة لله وللإسلام ، فقيل له : كيف قتلته ؟ فأخرج سكينًا ضرب بها فؤاده فقتل نفسه) (225).

ولما طويت صفحة الحاكم ، واستقر في الأذهان مصرعه ، وصفا جو الريبة التي ثارت حول اختفائه ، أخذ الظاهر بوحي عمته ست الملك ، في نقض سياسة أبيه تباعا ، فألغى أحكام التحريم التي أصدرها الحاكم ، وطورد الملاحدة أصحاب حمزة والمنادون بألوهية الحاكم في عهده بمنتهى الشدة ، وقبض على زعمائهم وشيعتهم ، وقتل كثيرون منهم ، وصدرت الأوامر بتتبعهم في سائر الأنحاء وهرب زعيمهم حمزة بن علي .

أما الدروز فيقولون بغيبة الحاكم ، وهذا يتمشى مع اعتقادهم أن الألوهية قد حلت في ناسوته : وكان لاختفاء الحاكم على هذا النحو فرصة لإذكاء دعوتهم وتغذيتها ، واتخذوا من هذا الاختفاء وظروفه الغامضة مستقى جديدا لدعوتهم . فزعموا أن الحاكم لم يقتل ولم يمت ، ولكنه اختفى أو ارتفع إلى السماء ، وسيعود عندما تحل الساعة فيملأ الأرض عدلاً ، وأصبح هذا الادعاء أصلاً مقررًا من أصول عقيدتهم .

ويوجد بين رسائل الدروز رسالة عنوانها (السجل الذي وجد معلقًا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم) ، وتاريخها في شهر ذي القعدة سنة 411 هـ ، أي بعد اختفاء الحاكم بأيام قلائل .

(وتبدأ الرسالة بـ (التوبة) إلى الله تعالى ، وإلى وليه وحجته على العالمين ، وخليفته في أرضه ، وأمينه على خلقه أمير المؤمنين) ... إلى أن تقول :

---

(223) ابن الأثير / الكامل في التاريخ مجلد 9 ص 314 .
(224) المقريزي : الخطط المقريزية ، ج 3 ص 253 .
(225) المقريزي : الخطط المقريزية . ج 3 ، ص 253.

وأنه قد سبق إليكم ، أعني إلى الناس من الوعد والوعظ والوعيد من ولي أمركم ، وإمام عصركم ، وخلف أنبيائكم ، وحجة باريكم ... إلخ) (226).
ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوي عن هذا السجل : (ونحن نعتقد أن هذا السجل ليس من وضع حمزة بن علي ، لأنه يخالف كل العقائد التي دعا إليها حمزة ، - وذلك لأمرين - :
1 – فهو ينعت الحاكم بأنه (ولي أمركم ، وإمام عصركم ، وخلف أنبيائكم) ، وأنه ولي اللّه و (خليفته في أرضه) و (أمير المؤمنين) ، وهذه الصفات تتنافى مع ما ذهب إليه حمزة في رسائله ، وخصوصًا في (ميثاق ولي الزمان) حيث نعت الحاكم بأنه (مولانا الأحد ، الفرد الصمد) .
2 – إن هذا السجل يمجد في الحاكم بأمر اللّه أنه أحيا (سنة الإ ِسلام والإ ِيمان) التي هي الدين عند اللّه ، وبه شرفتم وظهرتم في عصره على جميع المذاهب والأديان ... فدخلوا في دين اللّه أفواجًا ، وبنى الجوامع وشيدها ، وعمر المساجد وزخرفها ، وأقام الصلاة في أوقاتها ، والزكاة في حقها وواجباتها ، وأقام الحج والجهاد ، وعمر بيت اللّه الحرام ، وأقام دعائم الإ ِس لام) :
فكيف يتفق تمجيد الحاكم بسبب أحيائه سنن الإ ِسلام ، والسهر على أركانه ، مع ما يذهب إليه حمزة بن علي في (ميثاق ولي الزمان) من أن يدخل في ديانة التوحيد التي دعا إليها ، فعليه أن يتبرأ من جميع المذاهب والمقالات وا لأديان والاعتقادات كلها) (227).
وأرى أن هذا السجل ، لا يمكن أن يكون من وضع حمزة أو أحد دعاته ، لأنه في الواقع ينفي كل ما ذهب إليه الدروز في اعتقاداتهم بأن الحاكم هو الإ ِله ، وليس الإ ِمام أو الخليفة ، وكما سنرى في الفصول القادمة ، فإن هذه الأ لقاب لا يجوز أن يوصف بها الحاكم .
ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أيضًا : (أن صاحب المصلحة في ذلك ، كان أصحاب السلطة والوزراء ، أو من شابههم ، وذلك حتى يكون إعلانًا عامًا للناس ، وطمأنة لهم ، وتخويفًا في نفس الوقت ، خصوصًا وأن الناس يكرهون الحاكم ، وأنه قد يحدث بعد وفاته اضطراباً في الأمن واختلالا ً في أحوال الدولة) (228).
وإلى جانب هذا السجل ، هناك رسالة أخرى كتبها أحد أكابر الدعاة وأحد

(226) نسخة السجل الذي وجد معلقا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم .
(227) د . عبد الرحمن بدوي : الإسلاميين ، ج 2 ، ص 620 ، 621 .
(228) د . عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإ ِسلاميين مجلد 2 ، ص 623 .

الحدود الخمسة عند الدرز ، وهو المقتني بهاء الدين (229)وعنوانها (رسالة الغيبة) .
يقول فيها : ((معشر الموحدين ، إذا كنتم تتحققون أن مولاكم لا تخلو الدار منه ، وقد عدمته أبصاركم ... وإذا فسدت المعدة ضرت البصر ، فهكذا إذا كانت المادة واصلة إلى النفوس الصحيحة ، فينظروا صورة الناسوت نظرًا صحيحًا ، وإذا كانت المادة من فعل الأبالسة ومادة النطقاء والأسس وشرائعهم ، فيفسد النظر ، وما ينظر إلا بشر ... ثم يقول : ألم تعلموا أن مولا كم يراكم من حيث لا ترونه .
معشر الإخوان ، أحسنوا ظنكم بمولاكم يكشف لكم عن أبصاركم ما قد غطاها من سوء ظنكم) (230).
(وهذا وقد مضى إلى اليوم عشرة قرون ، ولا يزال الدروز يؤمنون برجعته ويرقبونها ، ولم يحدد لنا الدعاة متى تكون هذه الرجعة ؟ ولكن يقولون :
إنه متى حلت الساعة ، يقوم جند الموحدين من ناحية الصين ، ويقصدون إلى مكة في كتائب جرارة ، وفي غداة وصولهم يبدو لهم الحاكم على الركن اليماني من الكعبة ، وهو يشهر بيده سيفا مذهبا ، ثم يدفعه إلى حمزة بن علي فيقتل به الكلب والخنزير وهما عندهم رمز الناطق والأساس .
ثم يدفع حمزة السيف إلى محمد (الكلمة) وهو أحد الحدود الخمسة عندهم ، وعندئذ يهدم الموحدون الكعبة ، ويسحقون المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض ، ويملكون العالم إلى الأبد ، ويبسطون سلطانهم على سائرالأمم ، ويفترق الناس عندئذ إلى أربع فرق ، الأولى : الموحدون ، والثانية : أهل الظاهر وهم المسلمون واليهود ، والثالثة : أهل الباطن وهم النصارى والشيعة ، والرابعة : المرتدون وهم الجهال (231)، ويعمد حمزة إلى أتباع كل طائفة غير الموحدين ، فيدمغهم في الجبين أو اليد ، بما يميزهم من غيرهم ، ويفرض عليهم الجزية وغيرها من فروض الذلة والطاعة) (232) . وكما يزعم جنبلاط فإن هذا الدور سيكون في حدود سنة (2000 م) ، حيث سيكون بتحل إلهي

(229) ستأتي ترجمته عند حديثنا عن أشهر دعاة الدروز في الفصل القادم.
(230) رسالة الغيبة .
(231) وهو القسم الثاني من الدروز ، حيث ينقسمون إلى عقال وجهال ، والعقال بيدهم كل أسرار المذهب الدرزي ، والجهال لا يعرفون شيئا من هذا .
(232) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، نقلا عن مخطوط بدار الكتب المصرية عن طوائف لبنان تحت رقم 16 (ص 147 ، 148) .

حر بفتح الطريق للناس من جديد للإ ِيمان بالحاكم (233).
وفي رسالة (الإعذار والإ ِنذار) يصرح حمزة فيها بأنه الإ ِمام وأنه سيغيب أيضا ، على أن يرجع مرة أخرى بعد قليل ، ويصرح بهاء الدين المقتني أنه عندما غاب المعبود (أي الحاكم) ، امتنع قائم الزمان (أي حمزة) عن الوجود ، فمن ذلك كله نقول : إن حمزة خاف على نفسه بعد اختفاء الحاكم ، واختفى هو الآخر .
وقد قام بأمر الدعوة في غيبة حمزة ، الداعي بهاء الدين أبو الحسن على بن أحمد السموقي ، المعروف بالضيف ، لأن مرتبته في الدعوة هي مرتبة الجناح الأيسر أو التالي ، وهذه المرتبة يكون صاحبها لسان الدعوة ، واستمر بهاء الدين الضيف يحمل عبء هذه الدعوة ، ويكتب رسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الدخول في مذهبه ، كما كتب إلى الذين خرجوا عن المذهب بعد أن كانوا من دعاته أمثال سكين (234).
وقد كثرت الآراء الجديدة من معتنقي المذهب الجديد ، مما جعل بهاء الدين يهدد أتباعه باعتزال الدعوة ، وبالفعل أعتزلها سنة 434 هـ ، بعد أن أقفل باب ا لاجتهاد ، حرصًا على المباديء التي وضعها حمزة والتميمي وبهاء الدين نفسه ، ولذلك لم يظهر مشرعون بعد بهاء الدين ، بل أصبح شيوخ الدروز يشرحون رسائل حمزة والتميمي وبهاء الدين) (235).
تلك هي نظرية دعاة الدروز ومزاعمهم في غيبة الحاكم وفي رجعته ، ولم يجد أصحاب هذه الدعوة ملجأ لها ، إلا وادي التيم في الشام بعد انهيار دعوتهم في مصر ، وحاولوا بشروحهم ومزاعمهم الجديدة أن يستبقوا ولاء شيعتهم وأنصارهم هنالك ، من قبيلة تنوخ وغيرهم الذين استمالهم الدرزي عندما هرب من بطش الجند والناس في مصر ، ومازالت بقيتهم إلى يومنا هذا ، (وهم طائفة الدروز حيث يعيشون الآن لبنان وسوريا وفلسطين) (236)، في مجتمع مغلق على نفسه بسرية تامة ، فلا يسمحون لأي إنسان أن يعتنق مذهبهم أو أن يتعرف أحد على مبادئه ، فلا جدوى عندهم أن تعرض على أي كادر أن يصبح درزيًا ، فكل إنسان يظل على ما هو عليه ، لأن الروح الدرزية

(233) كمال جنبلاط / هذه وصيتي ص 50 .
(234) أحد دعاة الدروز ، والذي أصدر بهاء الدين كتابا بتقليده ، ثم انقلب بعد ذلك عليه ، حيث ادعى أنه الحاكم بأمر الله وذلك بعد مقتل الحاكم بمدة طويلة ، وهذا بسبب الشبه الظاهري بينهما ، مما جعل بهاء الدين يتبرأ منه ويذمه .
(235) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ، ص 83 ، 84 .
(236) سليم أبو إسماعيل : الدروز – وجودهم ومذهبهم وتوطنهم ، ص 41 – 45 .

تنتقل بعد الموت وتتقمص في جسد درزي آخر (237).
هذا وقد ظهر بين الدروز في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، أي بعد قيام الدعوة الدرزية بأكثر من أربعة قرون ونصف ، عالم درزي اسمه الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي (238)، والذي تذكر عنه الروايات أنه كان صالحًا فقيهًا حاول أن يعيد الدروز إلى الإسلام من جديد ، وذلك بدعوتهم لقراءة القرآن وبناء المسجد والقيام بأركان الإسلام ، ولكن يبدو أن ثمرة جهوده قد اندثرت بعد وفاته وعاد الدروز إلى ما كانوا عليه .
وقد عثرت على مخطوط عنوانها (رسالة في معرفة سر ديانة الدروز) ومؤلفها مجهول ، ويبدو أنها كتبت قبل فترة ليست بالطويلة ، وذلك من خلال أسلوبها ولهجتها اللبنانية ، وسنورد بعض المقتطفات فيها هنا ، وهي تبين لنا بشكل واضح أهم معتقدات الدروز وتطورها بعد مقتل الحاكم ، والرسالة كتبت على طريقة السؤال والجواب كما يلي :
س : أدرزي أنت ؟
ج : نعم بنعمة مولانا الحاكم سبحانه .
س : ما هو الدرزي ؟
ج : هو الذي كتب الميثاق بعد مولانا الخالق .
س : ماذا فرض عليكم ؟
ج : صدق اللسان ، وعبادة الحاكم ، وباقي الشروط السبعة .
س : بماذ تعرف أنك درزي موحد ؟
ج : بأكل الحلال ، وترك الحرام .
س : ما هو الحلال والحرام ؟
ج : الحلال هو مال العقال ، والفلاحين ، وأما الحرام فمال الحكام والمرتدين .
س : كيف ومتى كان ظهور مولانا الحاكم ؟
ج : كان في السنة الأربعمائة من الهجرة الإسلامية (239).
س : وكيف ظهر وقال . أنه من نسل محمد حتى أنه أخفى لاهوته ولِمَ أخفاه ؟
ج : لأن عبادته كانت قليلة والذين يحبونه ليسوا كثيرين .

---

(237) كمال جنبلاط / هذه وصيتي ص 54 .
(238) يقول الأستاذ زهير الشاويش عن التنوخي : (هو المعروف عندهم بالسيد ، وقبره ظاهر في بلدة (عبية) ، في جنوب عالية وسوق الغرب في جبل لبنان) .
(239) يلاحظ هنا أنه ترك ما قبلها من مولد الحاكم سنة 375 هـ إلى سنة 400 هـ ، فلم يعتبر إلا وقت ظهور ألوهيته ؟! .

س : ومتى ظهروأشهر لاهوته ؟
ج : بعد ثماني سنين بعد الأربعماية .
س : وكم سنة أقام لاهوته بالأشهاد ؟
ج : السنة الثامنة بكمالها ، وغاب التاسعة لأنها سنة استتار وظهر أول العاشرة والحادية عشرة ، ثم اختفى في الثانية عشرة ولم يظهر بعدها حتى يوم الدين .
س : وما هو هذا يوم الدين ؟
ج : هو اليوم الذي يظهر فيه الناسوت ، ويحكم فيه العالم بالسيف والعنف ..
س : ومتى يكون ذلك ؟
ج : إن ذلك أمر غير معلوم ، ولكن العلائم تظهر .
س : وما هي هذه العلائم ؟
ج : إذا رأيت الملوك انقلبت ، والنصارى قويت على المسلمين .
س : وفي أي شهر يكون هذا ؟
ج : هذا يكون في جمادى أو رجب على حساب المعاجزين .
س : وكيف يكون حكمه على الطوائف والملل ؟
ج : يظهر عليهم بالسيف والعنف ويهلك الجميع .
س : وبعد هلاكهم ماذا يكون ؟
ج : يرجعون بالولادة ثانية على حكم التناسخ ثم يحكم بينهم كما يريد .
س : كيف يكونون وهو يحكم بينهم ؟
ج : يكونون أربع فرق : نصارى ، ويهود ، ومرتدين ، وموحدين .
س : لماذ إنكار كتب سوى القرآن ؟
ج : اعلم أنه من حيث لزمنا الاستتار بدين الإسلام (240)، وجب علينا الإقرار بكتاب محمد ، ولا خلل علينا بذلك ، وصلاة الجنازة على الموتى بموجب الا ستتار لا غير ، لأن المذهب الطاهر اقتضى ذلك (241).

(240) وهذا يوضح أن الاسلام قناع يتخذونه للتستر عما يعتقدون ، وصلاة الجنازة بموجب ذلك .
(241) علق الأستاذ زهير الشاويش على صلاة الجنازة عند الدروز بما يلي : (ومن المشاهد حتى اليوم ، أنهم يقرأون الفاتحة في صلاة الجنازة ، وتكون هذه القراءة من مجموعة من مشايخهم ، ويقفون حول الصندوق الذي فيه الميت ، أما في (الخلوة) أو في (الساحة) قبل المقبرة . وينقسمون إلى أربع مجموعات يحيطون بالميت ، ويتولى أكبر الموجودين رتبة الإشارة إلى إحدى المجموعات ، فيقرأون فاتحة الكتاب بصوت مرتفع ونغمة تختلف عن المعروف من تجويد القرآن ، فإذا انتهت هذه المجموعة أشار إلى مجموعة أخرى وهكذا دواليك . ويلاحظ أن هذه المجموعات يرأسها شخص يلبس

س : من أين عرفنا شرف قيام الحق من حمزة بن علي سلامه علينا ؟
ج : من شهادته لنفسه حيث قال في رسالة (التحذير والتنبيه) : (أنا أصل مبدعات المولى ، وأنا سراطه والعارف بأمره ، وأنا الطور والكتاب المسطور و البيت المعمور ، أنا صاحب البعث والنشور ، أنا النافخ في الصدور ، وأنا الإمام المتين ، وأنا صاحب النعم ، وأنا ناسخ الشرائع ومبطلها ، وأنا مهلك العالمين ، وأنا مبطل الشهادتين ، وأنا النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة) .
س : وما هو دين التوحيد الذي عليه الدروز ، والعقال مستدلون ؟
ج : هو الكفر بكل الملل والطوائف ، لأن بالذي كفروا نؤمن نحن ، كما قيل في رسالة (الإعذار والإنذار) .
س : فإذا عرف أحد دين مولانا ، وصدق به (242)، وانقاد إلى دين التوحيد وعمل بحسبه ، فهل له خلاص ؟
ج : كلا ، لأنه غلق الباب ، وتم الكلام ، وإذا مات يرجع إلى ملته ودينه القديم .
س : متى خلقت نفوس العالم كلها ؟
ج : بعدما خلق العقل ، الذي هو حمزة بن علي ، ثم خلقت الأرواح ، كلها من نوره ، وهي معدودة لا تزيد ولا تنقص مدى الزمان .
س : أيليق أن يسلم التوحيد للنساء ؟
ج : نعم لأن مولانا كتب عليهن العهد ، وأطعن إلى دعوة الحاكم كما هو مذكور في رسالة (ميثاق النساء) ، وكذلك في رسالة (البنات) .
س : وكيف تقول في بقية الملل الذين يقولون أننا نعبد الرب الذي خلق السماء والأرض ؟
ج : إنهم ، وإن قالوا كذا فلا يصح ، لأن العبادة لا تصح بلا معرفة فإن قالوا عبدنا ولم يعرفوا أن الرب هو الحاكم بذاته فتكون عبادتهم باطلة .
س : مَنْ مِنَ الحدود يصف حكمة المولى سبحانه الذي عليه مبنى ديننا ؟
ج : إن وصف ذلك ، ثلاثة من الحدود ، وهم حمزة وإسماعيل وبهاء الدين .

عباءة ذات خطوات ملونة ، وأما رأس الجميع فتخالف ألوان عباءته عباءة الآخرين ، وأما من كان في رتبة (جويد) فيقتصر على الثياب السوداء العادية ، وهي قميص قصير وسروال يرتفع عن الكعبين ، ونعل يكون غالبا من الأنواع المتينة الرخيصة فضفاض ، وأما العباءة التي يلبسها الأجاويد والمتقدمون فهي بلا أكمام ، وقد يربطها بحزام ولا تصل إلى ركبته ، وهي ما يسمونها (البشت) . كما يلاحظ الناظر إلى إلزامهم جميع الأطفال والمراهقين بغطاء الرأس – ولو بالطواقي – وأما الكبار فيلبسون العمائم البيضاء على الطرابيش الحمراء .
(242) وهذا الكلام مبني على أن هذا (الأحد) ، لم يكن من أهل الدعوة في السابق ، أو من أهلها في التناسخ ؟ .

س : كيف نعرف أخانا الموحد إذا رأيناه في الطريق ومر بنا يقول إنه فينا ؟
ج : بعد اجتماعنا فيه والسلام ، تقول له في بلدكم فلاحون يزرعون الأهليلج ، فإن قال : نعم مزروع في قلوب المؤمنين ، فنسأله عن معرفة الحدود ، فإن أجاب ، وإلا فهو الغريب .
س : ما هي الحدود ؟
ج : هم أنبياء الحاكم الخمسة ، حمزة وإسماعيل ومحمد الكلمة وأبو الخير وبهاء الدين .
س : هل للجهال من الدروز خلاص أو مرتبة عند الحاكم إذا ماتوا على ما هم عليه من غير عقل ؟
ج : لا خلاص لهم بل يكونون عند مولانا الحاكم في اللباس والمعيار أبدًا .
س : ما هي نقطة البيكار ؟
ج : هو حمزة بن علي .
س : ما هو القديم والأزل ؟
ج : إن القديم هو حمزة ، والأزل أخوه إسماعيل .
س : ما هي حروف الصدق وكم عددها ؟
ج : مائة وأربعة وستون حرفا ، وهي الدعوة والتقي والمكاسرون وهم الأنبياء التي كانت لمولانا الحاكم .
س : ما هي حروف الكذب ؟
ج : ستة وعشرون ، وهي دليل إبليس وأولاده ورفاقه ، وهم محمد وعلي وأولاده الاثنا عشر ، وهذا على إمام المتاولة (243).
س : ما هو معنى ركوب مولانا الحمير بلا سروج ؟
ج : الحمار مقال الناطق ، وركوبه دليل على هدم شريعته وإبطالها ، وقد قال القرآن تصديقًا لهذا (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) يعني الأنبياء الذين جاؤوا بالشريعة الظاهرة .
س : ما معنى لبس مولانا الصوف الأسود ؟
ج : إن ذلك ليس بدليل على الحزن ، إنما علي المحبة التي صارت على عبادة الموحدين بعده (244) .
س : وما هو سبب ظهوره في كل شريعة ؟

(243) تكن واضحة في الأصل ، فقد تقرأ (المتأولة) بهمزة على الألف ، وهذا ينطبق على الإسماعيلية . وقد تقرأ (التأولة) بلا همزة على الألف ، وهذا تعبير مستعمل ويقصد به الشيعة الإثنى عشرية .
(244) كما أسلفنا . فإن عقال الدروز للآن يلبسون هذا اللباس الأسود.

ج : أن يؤيد الموحدين ويثبتوا في عبادة الحاكم ولا يصدقوا إلا منه .
س : وكيف ترجع النفوس إلى أجسادها ؟
ج : كلما مات إنسان ولد آخر والدنيا هكذا .
س : كيف يستدل على أن دين الحاكم حق وغيره باطل ؟
ج : إن هذا كلام كفر وعدم تصديق بالحاكم ، لأن الموحدين قد أشرطوا على أنفسهم في كتب الميثاق أنهم سلموا كل أرواحهم وأجسادهم وشعرهم ، وسرهم وصهرهم بيد الحاكم من غير محض ولا جدال ، فإذا هم في طاعته ، وإن قالوا : غير هذا فقولهم كفر ، كما قال في رسالة (الرضى والتسليم) ولحمزة عبد مولانا الحاكم وملاكه ، وهذا الأمر ثابت .
س : ما المراد بالجن والملائكة والأبالسة في كتاب حمزة ؟
ج : إن المراد بالجن والأبالسة الناس الذين لم يطيعوا دعوة مولانا الحاكم ، وأما الشياطين فأرواح خبيثة لا أجسام . أما المراد بالملائكة المقربين و المستجيبين لدعوة الحاكم بأمره ، فهو الرب المعبود في كل الأدوار .
س : ومن هم الحرم الأربعة ؟
ج : هم إسماعيل ومحمد وسلامة وعلي ، وهم الحكمة ، النفس ، بهاء الدين ، ابن أبي الخير .
س : ولماذا تسموا حرما ؟
ج : لأن حمزة هو بمقام الرجال ، وهم نسوان ، لأنهم عنده بمنزلة النساء في طاعتهم له .
س : وما ذكر الأحاليل والفرج ؟
ج : أشار إلى حالة ولا محلة ، لأن الأحليل يقوي ويعمل الحركة ، على فرج المرأة ، وكذلك مولانا جعل سلطان لاهوته يغلب المشركة كما رأينا في رسالة يقال لها (حقائق الهزل) .
س : ولماذا أوصانا حمزة بن علي بأن نخفي الحكمة ولا نكشفها ؟
ج : لأن فيها أسرار مولانا وعهوده ، فلا يجب أن نكشفها إلى أحد لأنها خلاص النفوس وهي حياة الأرواح .
س : ألعلنا نحن نخلص ، ولا نريد كل الناس أن تخلص ؟
ج : هذا ليس من طريقته ، لأن الدعوة ارتفعت وغلق الباب وكفى من آمن ، وكفر من كفر .
س : وما معنى إبطال الصدقة على بعض الناس ؟
ج : إن الصدقة لا تجوز عندنا ، إلا على أخينا الموحد العاقل ، وأما على غيره

فهي حرام أبدا (245) .
والدروز في الوقت الحاضر ، يحاولون أن يطوروا دينهم ، بما يتناسب وروح العصر ، وذلك بطباعة ما يسمى بـ (مصحف الدروز) (246)أو المنفرد بذاته ، والذي ينسب تأليفه إلى كمال جنبلاط أحد زعمائهم (247)بالتعاون مع عاطف العجمي .
ويحاول كاتب هذا المصحف أن ينسبه إلى حمزة بن علي ولكن من المؤكد أن هذا المصحف قد كتب حديثًا ، والدليل على ذلك ألفاظه وأسلوبه العصري ، و التي تدل على أنه كتب في العصر الحاضر ، لذلك لا نستبعد أن يكون كاتبه كمال جنبلاط .
وكاتب هذا المصحف ، يحاول فيه أن يحاكي القرآن الكريم ، بل يحاول أن يقتبس الكثير من الآيات القرآنية ، والتي توافق هواه ، فيبدل ويحور فيها ، ويضيف ما يشاء من عنده ، ليبرهن إلى ما يرمي إليه .
وقد حاولت أن أجمع الآيات ، التي حورها وبدلها ، فتبين لي أن الآيات كانت فقط آيات مشاهد القيامة ، والجنة والنار ، وكذلك آيات الوعيد للكافرين بـ العذاب والجحيم ، وآيات الجنة والنعيم للمؤمنين .
وكل هذه الآيات يحورها إلى ما يرمي إليه ، وهو أن العذاب سيكون لكل من يكفر بألوهية الحاكم ، والنعيم سيكون للموحدين الذين يعبدون الحاكم .
ومن أمثلة ذلك ما جاء في عرف الأمر والتقديم إذ يقول :
(أنتم وما تعبدون مكبكبون على وجوهكم ، يوم ينادي منادى مولاكم الحاكم من مكان بعيد : هذا يومكم الذي فيه توعدون ، تتلوها أيام العذاب إنكم لخالدون ولات محيص ... إلى أن يقول : وإلا فقولوا لي أيها الضالون المعاندون ، فهل جاء لكم رب غيره مع جنوده ، أروني إن كنتم صادقين) (248).
ويقسم هذا المصحف إلى أربع وأربعين عرفا ، ويقع في مائتين وتسع وستين صفحة ، ويقول كاتبه في مقدمته : (جرى تقسيم هذا المصحف المكرم وفق

---

(245) رسالة (في معرفة سر ديانة الدروز) مخطوط في جامعة ييل .
(246) اطلعت على هذا المصحف في المكتبة الخاصة لأحد الأشخاص ، وقد طبع منه عدد قليل جدا ، وبشكل سري قبل بضع سنوات ، وهو مكتوب بخط جميل .
(247) أحد زعماء الدروز المرموقين ، وهو من السياسيين اللبنانيين المخضرمين ، وكان كثير التعمق في الديانات الهندية القديمة ، لذلك كثرت سفراته إلى هناك . وقد قتل بعد أحداث لبنان الأخيرة في سنة 1397 هـ الموافق 1977 م . .
(248) مصحف الدروز – عرف الأمر والتقديم – ص 10 ، 11.

المواضيع لتسهيل الاطلاع عليه . ووضع لكل فصل تسمية تنطبق مع ما ورد فيه من معان ، ولقد اخترنا اسم العرف تناسبا مع ما يطلق على أبناء التوحيد : كنيتم بالأعراف ووصفتم بالأشراف) (249).
وفي أوائل صفحات هذا المصحف ، يعرف كاتبه بالأسماء والعبارات والإشارات التي وردت في ثناياه ، ومما يذكر أن في بعض أعراف هذا المصحف عبارات غريبة ، كتبت بأحرف عربية ، ولكنها لغة غير معروفة ، لا يعرف معناها ، والظاهر أنها ألغاز ، ولذلك يقول كاتبه : أنه لا يريد أن يظهر معناها ، لأن لها معان سرية لا يجوز لكل واحد الاطلاع عليها .
ومن أمثلة ذلك ما ورد في عرف (شمس المغيب) : (يوديلووهكا طران كنان وهقويكان سهى وهطمكل واطغظلوا أو هكهز كان بطكة وعد ودلولذوسلر) (250).
وقد بدأ هذا المصحف بـ (عرف الفتح) نورده هنا ، لنعرف بعض ما يرمون إليه من هذا المصحف :
(به ، والحمد له على هذا النور ، والشكر والفضل لذوي الصلات موالينا الحدود (251) صلى الله عليهم ومن قبل ومن بعد ، والموحدون في صياصيهم (252)يرجعون ما أمر المولى به أن يوصل .
الحمد أبداً للذي وفقنا لحفظ الحكمة في صدورنا من مصحفه المنفرد بذاته ، نرتله مستضيئين ، وهو الذي انشقت عنه سماء القدرة بمنة آلاء التجليات ، فانفجرت منه اثنا عشرة عينا قد علم الموحدون مشربهم (253).
الحمد لك مولانا (254)، أنت الذي فتحت أبواب قلوبنا على حكمه وأحكامه ، وآدابه وتأويله وإعرابه ، وأنت الذي ألهمتنا تدبر معانيه في حقيقته ومجازه ، وإيجازه وإسهابه ، ودعوتنا إلى الاعتصام بأمتن أسبابه .
ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، شهادة مشاهد موحد عارف

---

(249) مصحف الدروز – ص 1 .
(250) مصحف الدروز : عرف شمس المغيب – ص 230 .
(251) يقصد الحدود الخمسة ، والذي سيأتي ذكرهم بالتفصيل في فصل أشهر الدعاة الدروز .
(252) الظاهر أن المقصود بهؤلاء هم العقال الذين يسكنون الخلوات .
(253) يلاحظ هنا كيفية تحور الآية إلى ما يرمون إليه ، والآية الكريمة المشار إليها هي : (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر . فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) سورة البقرة : آية 60 .
(254) المقصود بمولانا هنا هو (الحاكم بأمر الله).

موقن ، مؤمن بأيام حسابه ، ونشهد أن موالينا وساداتنا الحدود الخالقين ، صليت عليهم ، هم فصل خطابك وألسنة ذاتك ، وهم موصلو حبال الحق ، وجامعو الموحدين على مائدة المعبود ، فعليهم منك صلات الصلاة مادامت عين اليقين .
مولانا بك آمنا ، ولك أقررنا أن مصحفك هذا ، نور الصراط المستقيم هو مسوق إلينا ، معروض علينا ، دان إلى أفهام قلوب ألبابنا ، عال بأسراره وأبنائه ، لا يمل من تلاوته ، ولا ينزف من حلاوته ، ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، قريبه حكمه ، وبعيده علمه ، وهو المجيز عند الخصام ، والأسوة سببها لجميع الموحدين ما بين العالمين مدى حيوات الأنام ، أسهمه لا تنبو ، وعادياته لا تكبو ، هو الكل والبعض والجمع والفرق ، به تبدل الأعيان ، ولا عدة إلا به ، و الجميع إليه .
مولانا ، نستفتح به مصلين حامدين شاكرين ، وقد طوينا البيد مؤمنين ، وسرنا في رياض جنة المنتهى غير محجوبين عن عيونك ، وهذه آيات حكمة مصحفك ترتلها أفئدتنا كرما منك ، لتصون بها وجوه كوننا من إحراق العدم .
ففي تلاوتها يا مولانا ، نرى كشف النور والظلم ، وفي نومنا قرارنا ، وظعننا وأسفارنا ، وسلمنا وحربنا ، وصحتنا ومرضنا ، وفي مهودنا صابين ، وفي شيخوختنا عاجزين ، وفي حيواتنا وموتنا ، وفي الدنا وفوق أشياخ النجوم . إنك مولانا ، نعم المولى ونعم النصير) (255).
ويبدو أن جنبلاط كان له الأثر العميق في الدرزية فقد اعترف بذلك في كتابه (هذه وصيتي) فدراسته للمذهب الدرزي أتاحت له الشروع في عمل تحليلي ، حيث قارن مذهبه على هدى تعاليم الفيدا الهندوكية والفلسفة اليونانية اللتين أتاحتا له اكتشاف مفاتيح الأسرار الدرزية – كما يزعم – وأعطاه خربًا من السلطة الروحية مما جعل مشايخ الدروز يطلبون رضاه (256).
وهذا يوضح لنا قدرة جنبلاط وإحاطته بالدين الدرزي ، ويؤكد القول بأن المصحف المنفرد بذاته من تأليفه .
ولإ ِعطاء صورة أوضح عن حقيقة العقيدة الدرزية في الوقت الحاضر ، نورد حديثًا شخصيًا مع الأستاذ كمال جنبلاط ، الرجل الذي ينسب إليه مصحف الدروز ، وقد أجراه معه الدكتور مصطفى الشكعة ، في كتابه إسلام بِ لا مذاهب حيث يقول فيه جنبلاط :
يرجع تاريخ الدروز إلى ثلاثمائة وثلاث وأربعين مليونا من السنين حين كانت

(255) مصحف الدروز : عرف الفتح – ص 1 – 5 .
(256) كمال جنبلاط / هذه وصيتي ص 50 .

الأرواح بلا أجساد (257).

- الدروز يؤمنون بالتقمص ، أي تقمص الأرواح ، بمعنى أن الذي يموت لا تصعد روحه إلى السماء بل تتقمص جسد مولود جديد ولذلك فهم لا يزيدون عددا ولا ينقصون لأن النقص عملية دائمة متواصلة بين أرواحهم ، وهم لذلك يقولون إن الحياة البرزخية غير موجودة .
- الدروز موجودون منذ الأزل ، واعتنقوا كثيرا من الديانات على مر الدهور ، واعتنقوا الإ ِسلام في مرحلة من مراحل عقيدتهم ، ولما كانت العقيدة عندهم متطورة فقد تحولوا عن الإ ِسلام إلى دين آخر مستقل هو الدين الدرزي ، أي أن الدرزية كانت مذهبًا إسلاميًا ثم تطورت وأصبحت دينًا مستقلا ً ، والأقطاب هم الذين يجددون الدين من زمن إلى زمن ، وهم يجيئون بأسماء مختلفة بين الفينة والفينة بدافع نظرية التقمص التي يؤمن بها الدروز ولذلك فالدرزية دين متطور يتطور من زمن إلى آخر .
- الشريعة الدرزية مأخوذة من القرآن ، ومن ستة عشر كتابًا خطيًا لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها ، كما أنها تأخذ تعاليمها من الفلسفة اليونانية وبخاصة الأفلاطونية القديمة ، والمسيحية والإ ِسلام و البوذية والفرعونية القديمة ، ويعتبرون إخوان الصفا من الدروز لتشابه الأفكار بينهما ، فقد كان إخوان الصفا يطالبون بمزج الشريعة الإ ِسلامية بالفلسفة اليونانية ، وبهذه المناسبة يخلط البعض خطأ بين الدرزية والإ ِسماعيلية ، والواقع أن الفرق بينهما شاسع كبير .
- محمد (صلى الله عليه وسلم) له مكانة محدودة عندهم ، وهو ليس إ لا واسطة الرسالة وحسب (258)، وللدروز خمسة أقطاب منذ القدم ،

(257) لقد كنا أوردنا تعليقات حول بعض السخافات التي قالها الأقدمون من هذه النحلة ، وقد يكون قولهم مبنيا بقصد التعمية والتشويش أو الاعتقاد . ولكن مثل هذا القول من رجل مشهود له بالثقافة والاطلاع ، وفي هذا العصر ، أفلا يعتبر ضحكا على الناس واستهزاء بعقولهم وبالتاريخ ؟ وإلا فمن أين علم بوجودهم بهذا التاريخ وهو من الأمور التي يأت بها وحي منزل ، ولم يسندها تارخ مكتشف . وكم كان يسرنا لو ذكر عدد الشهور والأيام والساعات ، ولو تفضل أيضا بذكر الدقائق والثواني لتحقق الموضوع تحقيقا كاملا ؟! والظاهر أن الأستاذ جنبلاط قد اعتمد في تقديره هذا على ما جاء في رسالة (الأسرار ومجالس الرحمة والأولياء) أن (الأدوار السابقة سبعون دورا وبين كل دور وآخر سبعون أسبوعا ، وكل أسبوع سبعون سنة ، وكل سنة ألف سنة ، وهذا الاعتماد لا تقوم به حجة ، بل هو مضحك للغاية ؟ انظر ص 140 .

(258) في هذا الأمر يغالط كمال جنبلاط ، ويموه في الجواب ، لأنه في الحقيقة –

خامسهم وآخرهم الحاكم بأمر الله الفاطمي (259)، ولأبي يزيد البسطامي مكانة عالية سامية (260)، وأما الصحابة فمنهم أربعة لهم مكانة عليا عندهم وهم : سلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر (261)، وأبو ذر الغفاري (262).

- لا يقبل الدروز أحد في دينهم ولا يسمحون لأحد بالخروج منه ، وحتى هؤلاء الذين يخرجون لا يعترف الدروز بأنهم قد خرجوا ، ولذلك فإن عدد الدروز في ظل هذه النظرية ونظرية التقمص لا يزيد ولا ينقص ، وقد أغلقت أبواب القبول في الدين الدرزي بعد قبول الأمير بنشير الشهابي الذي يعتبره الدروز درزيًا (263).
- الدين الدرزي دين صوفي يعتمد على الداخليات والجواهر ، ولا يهتم بـ الشكليات ، والطهارة الداخلية أي النفسية الروحية هي الأساس ، وأما الطهارة الخارجية فلا قيمة لها .

وقد كان الشيوخ يصلون في المساجد إلى عهد قريب ، ويصومون رمضان ،

وكما سيرد في الفصول القادمة – فإنهم لا يحترمون الرسول صلى الله عليه وسلم بل يسمونه إبليس اللعين . وأن الذي كان يمده بالقرآن هو سلمان الفارسي .

(259) يقصد الظهورات التي ظهر فيها المعبود بالصورة الناسوتية .

(260) هو طيفور بن عيسى البسطامي ، أبو يزيد ، ويقال بايزيد ، ونسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) ، وكان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر ، وكان يقول بوحدة الوجود ، وأول من قال بمذهب الفناء ، ولد سنة 188هـ وتوفي سنة 261 هـ . انظر الأعلام للزركلي . ج 3 ، ص 339 .

(261) هو عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني ، صحابي ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به ، هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان ، وهو ممن بنوا مسجد قباء ، وولاه عمر الكوفة ، وشهد وقعة الجمل ووقعة صفين مع علي ، وقد قتل في صفين سنة 37 هـ وعمره ثلاث وتسعون سنة . انظر الأعلام للزركلي ج 5 ، ص 192 .

(262) جندب بن جنادة من بني غفار ، من كنانة بن خزيمة ، صحابي وهو خامس من أسلم ، هاجر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بادية الشام . انظر الأعلام للزركلي . ج 2 ، ص 137 .

(263) بشير بن قاسم بن عمر الشهابي ، ولد في قرية غزير سنة 1173 هـ ، وقد ولاه أحمد باشا الجزار والي عكا إمارة لبنان سنة 1203 هـ فكانت له حوادث كثيرة وعزل مرات وأعيد ، حتى نفي إلى مالطا ، ثم إلى الأستانة حتى مات سنة 1266 هـ . ومن المعلوم أن الأمير بشير انحدر من أصلاب مسلمة ، ثم قيل إنه قد تنصر ، والآن يأتي جنبلاط ويقول أنه دخل في الدرزية ، وهذا الكلام الأخير محل شك أن لم تؤيده البراهين ، لأننا نعلم يقينا أن هذا الباب (الدخول) قد أغلق منذ زمن بعيد .

ويحجون البيت ، ولكن هذه الفرائض جميعًا قد رفعت عنهم واستبدلت بتكاليف أخرى) (264).

وفي حديث شخصي آخر أجراه الدكتور الشكعة مع شيخ عقل الدروز الشيخ محمد أبي شقرا ، والذي كان أكثر سرية ومورابة في أجوبته ، وأقل صراحة من كمال جنبلاط ، ومما قاله شيخ العقل :

الصلاة تختلف عن صلاة جمهور المسلمين ، فالفروض وإن كانت خمسة إلا أن عدد الركعات في كل صلاة تختلف عن عدد الركعات المعروفة ، وربما طريقة الصلاة نفسها ، هذا والوضوء ليس ضروريًا مادام المصلي نظيفًا .

- الصوم معناه الامتناع عن الرفث ، ومعنى ذلك أنه لا يجوز الأكل و الشرب مع الصوم ، وهو عشرة أيام في ذي الحجة تنتهي بالعيد ، كما أن صوم رمضان مستحسن عن غيره لأن الصوم فيه مضاعف الثواب .
- الزكاة معطلة ولا حدود لها ، ويمكن أن تكون في شكل صدقات ، وهي اختيارية ، وهي بالتالي ليست فريضة) (265).

ولعل من المفيد ونحن نتحدث عن تطور المذهب الدرزي بعد الحاكم ، أن نعطي بعض الملامح لتاريخ الدروز منذ موت الحاكم وحتى القرن الحالي .

فعندما جاء الزحف المغولي إلى بلاد الشام سنة 657 هـ بزعامة هولاكو ، كانت السيطرة على لبنان بيد أمراء الدروز التنوخيين ، ولما دخل (كتبغا) ابن هولا كو دمشق جاءه الأمير التنوخي جمال الدين حجي الثاني معلنًا خضوعه له ، مما جعل (كتبغا) يقر الأمير الدرزي على مقاطعة الغرب ، ولكن مجيء بيبرس من مصر على رأس جيش المماليك لمقاتلة المغول ، قلب موازين القوى – في ذلك الوقت - ، وهنا ارتأى الدروز أن (يلعبوا على الحبلين) ، وذلك أن يبقى أحدهم وهو الأمير جمال الدين بجانب كتبغا ، فيما ينضم الأخر أي الأمير زين الدين إلى جانب المماليك ، بحيث يكون على قول صالح بن يحيى : (أي من انتصر من الفريقين كان أحدهما معه فسيدخله رفيقه وخلة البلاد) ، لأن الانحياز إلى أحد القوتين كان يعني المجازفة بمصيرهم فيما لو خسر الجانب الذي قد ينضمون إليه (266)؟ ! .

وبعد انتصار المماليك على المغول ، استولوا على بلاد الشام دون أن يتعرضوا لمناطق الدروز بسوء ، ولذلك وجهوا اهتمامهم لاحتلال المناطق الساحلية

(264) د . مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب . ص 288 – 291 .
(265) د . مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب . ص 292 – 293 .
(266) انظر تفصيل ذلك في كتاب تاريخ الموحدين الدروز / د . عباس أبو صالح و د . سليمان مكارم ص 112 .

التي كانت لا تزال بيد الصليبيين ، ولكن بيبرس كانت تساوره الشكوك في حقيقة موقف الدروز ، وغدا مليئًا بالشك والحذر منهم ، وذلك بعدما نما إلى علمه أن أمراء الدروز على اتصال بوالي طرابلس الصليبي ، فأمر بسجنهم ليتسنى له أن يلتفت لغدر الصليبيين (267).

وكل هذا كان قبل قيام الدولة العثمانية ، أما بعد قيامها ، فقد راودتهم الأحلام القديمة بقيام دولة مستقلة لهم ، وخاصة أنهم رأوا الفرصة سانحة لهم لإ ِنشغال العثمانيين بقتال الدول الأوربية المجاورة ، فكان أن عملوا على تحقيق هذه الأحلام في عهد الأمير فخر الدين الثاني المنحدر من المعنيين ، الذي اتخذ في سبيل ذلك أسلوب المداورة عن طريق حروبه المحلية لبسطة نفوذه على سائر بلاد الشام ، ولكن سياسته هذه جعلت العثمانيين يوجسون منه خوفًا ، بيد أن تحركه على الصعيد الخارجي عززت تلك المخاوف وأثارت شكوك الباب العالي في ولائه للعثمانيين ، وخاصة أن أهدافه الحقيقية بدأت بِ الوضوح عندما عقد مع دوق توسكانا معاهدة تجارية تضمنت بنودًا عسكرية ضد الدولة العثمانية ؟ ! فقرر السلطان العثماني التلخص من فخر الدين ، فجرد عليه حملة قوية برًا وبحرًا سنة 1022 هـ / 1613 م ، فهرب إلى أوربا عن طريق ميناء صيدا بمساعدة سفينتين إحداهما فرنسية وأخرى هولندية ، وهناك أراد أن يؤلب الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية ، فسعى جاهدًا للحصول على مساعدات عسكرية من أسبانيا وفرنسا والفاتيكان ضد العثمانيين ، ولكن مسعاه فشل لأن الظروف الدولية في ذلك الوقت كانت غير صالحة (268).

وبحكم علاقة فخر الدين أمير الدروز الوطيدة بدول أوربا فقد كان يعطف على الإ ِرساليات الأوربية ويسمح بإنشاء مراكز لها في لبنان وفلسطين ، وفضلا ً عن ذلك فقد بسط يد الحماية لجميع النصارى في بلاد الشام ، حتى صار الأوربيون يدعونه (حامي النصارى في الشرق) ، وكان عطف الأمير على الموازنة وتحالفه معهم من أبرز مميزات سياسته الداخلية ، وكان أيضًا عاملا ً في هجرة الموارنة من مناطقهم إلى مناطق المسلمين ، وانتشارهم في أكثر من ثلثي لبنان الحالي ، مما قوى مركزهم السياسي في لبنان بعد ذلك (269)؟! .

وكما يذكر كمال جنبلاط فإن إمارة درزية أخرى كانت قائمة في الدولة

---

(267) انظر تفصيل ذلك أيضا في المصدر السابق ص 113 ، 114 .
(268) المصدر السابق ص 133 – 136 .
(269) المصدر السابق ص 142 – 143 .

العثمانية خاضعة لحكم أحد أجداده ، ووجدت في شمال سوريا وكانت تشمل حمص وحماة وحلب ودمشق وجزءًا من تركيا الأنضولية ، وشأن الدولة المعينية ، فقد عقدت هذه الإ ِمارة أيضًا معاهدات عسكرية مع الفاتيكان ودوقية توسكانا وأسبانيا ، وتلقى جده مقابل ذلك دعمًا سياسيًا وعسكريًا (270).

وفي سنة 1253 هـ / 1837 م ، قام الدروز بتمرد على محمد علي باشا والي مصر ، وكان ذلك في جبل الدروز بحوران بسبب تجريدهم من السلاح وتجنيدهم في الجيش ، وبقي هذا التمرد مشتعلا ً بعد أن انضم إليه دروز وادي التيم ، رغم محاولات محمد علي القضاء عليه ، إلى أن جرد عليه حملة قوية سنة 1256 هـ / 1840 م .

وبعد أن وجدت الدول الأوربية الضعف في الدولة العثمانية ، عملت على استمالة الأقليات الموجودة داخله ، وخاصة في لبنان ، الذي كانوا يرون فيه مدخلا ً مهمًا لكل مؤامراتهم على الدولة العثمانية ، وكانت فرنسا ترى في نفسها مدافعًا شرعيًا عن موارنة لبنان ، وقد اتخذت هذه الحجة الواهية ذريعة في سبيل تدخلها في شؤون الدولة العثمانية ، وهذه السياسة الفرنسية خوفت بريطانيا مما جعلها سنة 1841 م تعمل على استمالة الدروز إلى جانبها وتقيم علاقات رسمية وودية معهم ومع زعمائهم ، ويظهر أن الإ ِنجليز قد فهموا أحلام الدروز بإقامة دولة لهم ، فاستغلوها لاستمالتهم وإقامة العلاقات الوطيدة معهم (271).

وقد بات هذا واضحًا عندما ثار الدروز في جبلهم على الدولة العثمانية سنة 1851 م إذ امتنعوا عن دفع الضرائب ، فجردت الدولة العثمانية حملة لتأديبهم ، فتدخلت بريطانيا لدى الباب العالي ، وصدرت الأوامر من الأستانة بحل المشكلة الدرزية سلمًا ، وجاء في برقية الصدر الأعظم الموجهة إلى مدحت باشا (والي الشام) بهذا الصدد : (أن الأنجليز لا يسرون بما تتخذه من التدابير لتأديبهم) ، وهذا التدخل شجع الدروز ، إذ ما لبثوا أن اعتدوا على المكرك وأم الولد وحرقوا زرعهما في سنة 1296 هـ / 1880 م ، وعلى قرية (المسمية) في حوران سنة 1308 هـ / 1890 م .

ثم ثاروا في سنة 1311 هـ / 1893 م و 1313 هـ / 1985 م وكذلك في سنة 1328 هـ / 1910 م . وكانت اعتداءات الدروز على أهالي حوران قد أثيرت في مجلس المبعوثان العثماني ، حيث ندد مبعوث حوران باعتداءات

(270) كمال جنلاط / هذه وصيتي ص 40 .
(271) عباس أبو صالح وسامي مكارم / تاريخ الموحدين الدروز ص 245 ، 246.

الدروز ، مطالبًا الدولة باتخاذ الإ ِجراءات العسكرية الرادعة ضدهم بعد اعتدائهم على الجيش والأهالي ، وأنهى خطابه بمطالبة الحكومة بسوق قوة عسكرية على حوران (لصيانة العرض والدين والمال وتأمين الرعية من الخوف) (272).

مما تقدم يتضح لنا بأن دروز حوران كانوا في شبه ثورة دائمة ضد الدولة العثمانية ، وعندما كانت الولاية تعرض عليهم برامج الإ ِصلاح وتطلب من زعمائهم مساعدتها في تطبيقها ، كان الزعماء يقبلون ذلك ثم يرفضونه وهكذا ، وبالرغم من ذلك فقد حاولت ولاية سوريا إصلاح الأوضاع الإ ِدارية والا جتماعية في منطقة جبل الدروز عن طريق نشر التعليم بين الدروز بإنشاء المدارس وتعليمهم مباديء الدين الإ ِسلامي ، واتبعت سياسة اللين والرفق مع رؤسائهم الروحانيين ، وذلك باستدعائهم إلى دمشق وبذل المساعي لإ ِقناعهم بقبول الإ ِصلاحات ، فيبدي الزعماء رضاهم التام لدرجة المطاوعة الانقياد ، ولكنهم لم يثبتوا على ذلك طويلا ً (273).

وهكذا يبدو أن ثورات الدروز المستمرة ضد الدولة العثمانية وخاصة بعد سنة 1841 م ، كانت تهدف بالدرجة الأولى الاستقلال عن الدولة وبسط السيطرة الدرزية على لواء حوران بمساعدة وتأييد بريطانيا .

وبعد استعمار فرنسا لسوريا ، عملت عن طريق عملائها وبكل ما نستطيع من إمكانيات وإغراءات أن تستميل الدروز إلى جانبها ويتركوا الإ ِنجليز ، ومن أجل ذلك تابعت فرنسا استمالة زعماء الدروز ، فاستطاعت في 20 نيسان 1921 عن طريق الجنرال (غورو) أن تقنع الأمير سليم الأطرش بإعلان دولة درزية في جبل الدروز وتشكيل حكومة درزية وانتخاب مجلس نيابي مكون من (40) عضوًا ، ورفرف لأول مرة في تاريخ الدروز علمهم المكون من خمسة ألوان (274).

وعندما رأت بريطانيا أن نفوذها سيزول عند الدروز بسبب هذه الدولة استمالت أحد أمراء الجبل ، والذي كان من أهم العوامل التي أثرت على عدم بقاء هذه الدولة وسقوطها .

والحديث عن تاريخ الدروز في القرن الحالي يدفعنا لإ ِعطاء صورة موجزة

---

(272) محمد عبد العزيز عوض / الإدارة العثمانية في ولاية سورية ص 193 ، 291 ، 292 .

(273) المصدر السابق ص 293 .

(274) د . وجيه كوثراني / بلاد الشام – السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية ص 93 .

عن موقف الدروز من دولة إسرائيل ، حيث كانوا بعد قيام هذه الدولة على أرض فلسطين من أهم المدافعين عن وجودها ، بل إن إسرائيل استطاعت أن تكون كتيبة منهم فيما يسمى بـ (حرس الحدود) كان له دور خطير ومهم في حروب إسرائيل مع الدولة العربية .
لذا فإن كمال جنبلاط في كتابه (هذه وصيتي) يعتبر وجود الدروز في إسرائيل مشكلة ، ولكن في الوقت نفسه يدافع عن تعاملهم مع دولة العدو وينتقد الفلسطينيين الذين هربوا وتركوا أرضهم وبلادهم ولم يقلدوا الدروز في بقائهم في فلسطين ، ولو أنهم بقوا لشاركوا بسهولة في اقتصاد إسرائيل وبالتالي في السلطة السياسية ويكونون أقلية قوية وفعالة في البرلمان ، وبالتالي فإن الدروز فيما فعلوه مع إسرائيل قاموا بواجبهم بتعقل ، فهم يعلمون أنه لا جدوى في الهجوم على طواحين الهواء – كما يزعم جنبلاط – (275).
وفي سنة 1982 عندما احتلت إسرائيل لبنان ، رفضت مليشيات الدروز (الحزب التقدمي الاشتراكي) قتال الجيش الإ ِسرائيلي ورفضت مدفعيته الموجودة في الجبل مساعدة الفلسطينيين ، ولذلك استطاع الجيش الإ ِسرائيلي دخول مناطق الدروز دون أن تطلق رصاصة واحدة ، وبقيت الأ سلحة في يد الدروز رغم وجود الجيش الإ ِسرائيلي في مناطقهم .
******

(275) كمال جنبلاط / هذه وصيتي ص 56 ، 57.

الفصل الثالث
أشهر دعاة الدروز وآراؤهم

ترتبط بداية المذهب الدرزي بثلاثة من الدعاة هم : حمزة بن علي بن أحمد الزوزني ويعرف باللباد ، والحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم ، ومحمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بـ (أنوشتكين أو نشتكين) .
والمؤرخون مختلفون في ترتيب أسبقيتهم في الدعوة الجديدة ، ومع أن اسم الدروز مرتبط باسم (الدرزي) ، إلا أن بعضهم يجعل البداية لحمزة – وهو الأرجح كما سنرى – والبعض الآخر يجعلها لمحمد الدرزي .
أما الدروز فيعتبرون حمزة هو مؤسس المذهب وهو الإمام ، وأن الدرزي قد حاد عن تعاليم حمزة ، وأنه كان أحد أتباعه ، مما جعل حمزة يهاجمه في كثير من رسائله ، لذلك فإن الدروز يكرهون الدرزي هذا ويلعنونه .
أما الأخرم فالأرجح أنه كان داعيًا من دعاة حمزة في أول ظهوره . ولكي نعطي لمحة وافية عن هؤلاء الدعاة ، نتحدث عن كل واحد منهم ، ونبدأ بحمزة بن علي :
حمزة بن علي بن أحمد الزوزني : (ولد حمزة في مدينة (زوزن) في خراسان مساء الخميس في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة 375 هـ ، وهو اليوم الذي ولد فيه الحاكم بمصر ، ولعل ذلك هو السبب في أن الدروز يقيمون الصلاة الأسبوعية مساء كل خميس) (276).
واختلف المؤرخون في زمن وفوده إلى مصر ، فالبعض منهم يجعلها متقدم كثيرًا في سنة 395 هـ ، حيث كان عمره عشرين عامًا) (277).
وغالبية المؤرخين تجعل موعد قدومه حوالي سنة 405 هـ أو قبلها بقليل) (278).
وانتظم حمزة بين الدعاة الإِسماعيليين الذين كانت تغص بهم القاهرة يومئذ ، ويرجح الدكتور محمد كامل حسين أنه لم يكن من الدعاة ، بل كان يؤدي عملاً في القصر ، وكان على اتصال دائم بالحاكم ، ويضيف قائلاً : (ويغلب على ظني أن حمزة كان أحد الخدم الخصوصيين للحاكم ، وكان خادمًا ذكيًا لبقًا ذا حيلة ودهاء وخيال خصب ، وكان بحكم عمله في القصر

(276) عبد الله النجار : مذهب الدروز والتوحيد . ص 123 .
(277) أحمد الفوزان : أضواء على العقيدة الدرزية . ص 28 .
(278) خير الدين الزركلي : الأعلام . ج . ص 310 – ومحمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص 113 – وأحمد عطية : القاموس الإسلامي ، ج 2 ، ص 156 .

يستمع إلى مجالس الحكمة التأويلية فوعاها وحفظ منها كثيرًا ، وربما قرأ كتب الدعوة التي كانت بالقصر فأفادته في تلوين عقليته وتوجيه أفكاره إلى ما يرضي طموحه ويحقق آماله ، وظل هذه السنوات يهيء نفسه لذلك) (279).

ومما يؤكد هذا الرأي ركاكة ألفاظه في رسائله – إذ كما يقول الدكتور محمد كامل حسين : - (لم يكن من الكتاب لأن أسلوبه في رسائله وكتبه ليس به هذا الإشراق ، وتلك الديباجة ، وهذه الرصانة ، التي عرفت عن كتاب الفاطميين ودعاتهم) (280).

لذلك – وكما يقول الأستاذ عبد الله النجار - : (تنم من تعابيره كلمات فارسية دخيلة على أسلوب الإنشاء العربي) (281).

وتقول بول هنري بوردو عن حمزة وأهدافه البعيدة : (وكان حمزة في الحقيقة داهية دهياء متعمقًا في المباحث الدينية القديمة ، وأن العقائد التي نادى بها تدل تمامًا على أنها ذات العقائد التي كان ينادي بها المقنع الخراساني (282)، هذا اليهودي الذي هاج في خراسان سنة 160 هـ) (283).

وسرعان ما أصبحت لحمزة حظوة عند الحاكم ، بعدما أظهره من إخلاص ، واستطاع بحنكته ودهائه أن يجمع حوله بعض الدعاة ويتفقوا سرا للدعوة إلى تأليه الحاكم بأمر الله ، ومن هؤلاء كان محمد بن إسماعيل الدرزي .

ويظهر أن حمزة بن علي ، وكما يتضح في رسائله ، قد اتفق مع دعاته ألا يجهر أحدهم أو يكشف عن مضمون المذهب الجديد ، إلا بعد تلقي الأوامر منه نفسه ، ولكن الدرزي تسرع في الكشف عن أسرار الدعوة الجديدة سنة 407 هـ ، مما أثار الناس ، وحمل حمزة على الكشف عن دعوته سنة 408 هـ .

يقول حمزة في (رسالة الغاية والنصحية) موضحًا هذه النقطة :

((وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين ، وهو الضد الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإ ِمام ، ويدعى منزلته ... إلى أن يقول : وكذلك الدرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبر

(279) محمد كامل حسين : طائفة الدروز . ص 76.

(280) المصدر السابق ، ص 76 .

(281) عبد الله النجار : مذهب الدروز والتوحيد ، ص 123 – 124 .

(282) هو المقنع الخراساني الحاولي ، الذي اتخذ لنفسه وجها من الذهب ، فلم ينزعه قط ، لئلا يطلع الناس على وجهه المشوه ، وكان يدعي أن الله تعالى قد حل في نفسه بـ الانتقال والمناسخة .

(283) بول هنري بوردو : أميرة بابلية لدى الدروز : ص 26 – 28 .

وخرج من تحت الثوب ، والثوب هو الداعي ، والسترة التى أمره بها إمامه حمزة بن علي بن أحمد الهادي إلى توحيد مولانا جل ذكره)) (284).

ومهما يكن من شيء فإن الدعاة إلى المذهب الجديد ظلوا في سترهم مدة طويلة يعملون في الخفاء ، ويدعون الناس سرًا لمبادئهم وتعاليمهم ، حتى قام الدرزي وأعلن الدعوة سنة 407 هـ ، والذي كما يقال : (قد فتح سجلا ً في مساجد القاهرة تكتب فيه أسماء المؤمنين بألوهية الحاكم ، فاكتتب من أهل القاهرة سبعة عشر ألفا كلهم يخشون بطش الحاكم) (285).

ويبدو أن هذا الأمر قد أحرج حمزة ، مما حمله على الجهر بدعوته الجديدة – كما سبق ذكره – سنة 408 هـ ، فثار الناس على هؤلاء الدعاة ثورة شديدة ساعدهم فيها الجند الأتراك ، مما جعل الدرزي – على أرجح الروايات – يختفي في قصر الحاكم ، حيث عمل على تهريبه بعد ذلك إلى وادي التيم في بلاد الشام ، والذي كان يقطن به التنوخيون ، والذين كانوا يدينون بالولاء للعبيديين ، حيث عمل هناك على بث آرائه ومعتقداته بينهم ، فانضموا إليه وآمنوا بدعوته .

وبسبب شدة الثورة التي قام بها أهل مصر ، على دعاة حمزة وأتباعه ، اختفى حمزة أيضًا سنة 409 هـ ، واعتبرها سنة اختفاء وغيبة .

ويصف حمزة سنة 409 هـ : (بأنها سنة المحنة والامتحان والعذاب ، وأن القصد من الغيبة أن يمتحن الخلق بغيبته ، والمحنة هي غيابه الذي عاقبهم فيه) (286).

((ويبدو أن غيبته في هذه السنة ، كانت استعدادًا للظهور بقوة جديدة للتنظيم بعد ثورة الناس عليه في العام الفائت)) (287).

ويتبين من رسائل حمزة ، أنه في خلال هذه الفترة جعل مقره السري خارج القاهرة في مسجد (تبر) ، ولكن خصومه هاجموا مقره وأحرقوا باب المسجد ، ثم وجدوا داخل المسجد بابا من الحجر لا تعمل فيه النار ويصعب نقب جداره) (288).

مما تقدم يتضح بداية الخلاف بين حمزة والدرزي ، والظاهر أن هذا الخلاف قد تفاقم بعد هروب الدرزي إلى الشام ، حيث دعا هناك إلى أراء جديدة خالف

(284) رسالة الغاية والنصحية : حمزة بن علي .
(285) خير الدين الزركلي : ج 8 . ص 2464 .
(286) عبد الله النجار : مذهب الدروز والتوحيد . ص 115.
(287) المصدر السابق : ص 124 .
(288) مصطفى غالب : الحركات الباطنية في الإسلام ، ص 249 .

بها آراء حمزة ، من ذلك تسمية نفسه بـ (سيف الإ ِيمان) و (سيد الهادين) ، وكان أيضًا يلعن مخالفي المذهب ، بينما يقول حمزة : (اللعنة لا تزيد في الدين ولا تنقص منه) (289)، وكذلك (دعوته للحرية الجنسية) (290).
وأرى أن هذا الاختلافات ، لم تكن بتلك الأهمية لتأجج الخلاف بين الرجلين ، وأن جوهر الخلاف – كما يفهم من كتابات حمزة – إنما كان (بسبب رئاسة الدعوة الجديدة ، وهذا الأمر أغضب حمزة ، وجعله يعزل الدرزي من مصبه في الشام ، ويؤلب عليه أتباعه في الشام فقتلوه سنة 411 هـ) (291).
وهذا الخلاف يؤكده حمزة في (رسالة الغاية والنصحية) إذ يقول : (وكذلك الدرزي سمى نفسه في الأول بسيف الإ ِيمان ، فلما أنكرت عليه ذلك وبينت له أن هذا الاسم محال وكذب ، لأن الإ ِيمان لا يحتاج إلى سيف يعينه ، بل المؤمنون محتاجون إلى قوة السيف وإعزازه ، فلم يرجع عن ذلك الاسم وزاد عصيانه ، وأظهر فعل الضدية في شأنه ، وتسمى باسم الشرك وقال : أنا سيد الهادين ، يعني أنا خير من أمامي الهادي) (292).
هذا وكانت مدة ظهور حمزة ثلاث سنوات هي : 408 ، 410 ، 411 ، وأما سنة 409 هـ فإنها – كانت سنة غيبة له . كذلك فقد اختفى بعد سنة 411 هـ ، - وهي السنة التي قتل فيها الحاكم - ، حيث مرت سنوات من الكتمان ، أيضًا لم يظهر فيها ، فقد طورد من قبل الظاهر ابن الحاكم والملك الجديد ، (مما اضطره إلى الرحيل إلى بلاد الشام) (293).
وبقي حمزة مختفيًا حتى أزيح الستار قليلا ً عن نشاطه ، برسائل أرسلت إلى سواه وذكر فيها ، أو وجهت إليه ، بعد قرابة عشرين سنة من غيابه ، منها رسالة المواجهة ، التي يتبين منها ، أن حمزة كان لا يزال على اتصال سري بدعاته ، وعلى الخصوص بـ (المقتني) بهاء الدين كاتب الرسالة ، والذي يبدأها بـ (السلام على الإ ِمام) موجهًا إليه (عبيده الزائرين ... رسل العبد الذليل) (294) .
أما غيبة حمزة الثانية والأخيرة ، (فإن رسالة بهاء الدين في (رسالة السفر)

(289) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ، ص 77 .
(290) سعيد الصغير : بنو معروف (الدروز) ، ص 236 .
(291) المصدر السابق ، ص 236 (بتصرف) .
(292) رسالة الغاية والنصحية .
(293) خير الدين الزركلي : الأعلام . ج 2 ، ص 310 .
(294) عبد الله النجار : مذهب الدروز والتوحيد ، ص 125 .

والتي يطلب فيها من المؤمنين ، الإ ِيمان برجوع حمزة ، وإلى طاعة ولي الحق الإ ِمام المنتظر ، توضح هذه الرسالة – والتي كتبت في السنة الثانية والعشرين من سني حمزة أي سنة 430 هـ - أن حمزة قد اختفى أو مات سنة 430 هـ) (295).

مع أن هناك من يقول : (أنه مات سنة 422 هـ (1030 م)) (296).

وأما مكانة حمزة عند الدروز ، فهو الإ ِعظام والإ ِجلال ، (فالحديث عنه مقرون دائمًا عندهم بالإ ِجلال والإ ِعظام سواء أكان ذلك في مجرى حديث لسان أو على مسرى صفحة من كتاب مطبوع ، أو ورقة من سفر مخطوط) (297).

وهو عندهم – وكما سمى نفسه في رسائله - ، الإ ِمام ، وقائم الزمان ، وهادي المستجيبين المنتقم من المشركين ، وعلة العلل ، والعقل الكلي ، والإ ِرادة ، والقلم ، والطور ، والكتاب المسطور وهو أيضًا المسيح الحق ... إلى غير ذلك من الأسماء والألقاب التي أطلقها على نفسه .

وحمزة يفتتح رسائله غالبًا بهذه الديباجة ، وكما وردت في (رسالة البلاغ و النهاية) : (تأليف عبد مولانا جل ذكره ، هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين سيف مولانا جل ذكره) (298) .

وكذلك نجده في (الرسالة الموسومة بسبب الأسباب) يصف نفسه بهذه الألقاب أيضًا بأنه : (الإ ِرادة فهو علة العلل ، وهو العقل الكلي ، وهو القلم ، وهو القاف ، وهوا القضاء ، وهو الألف بالابتداء ، هو الألف بالانتهاء ... إلى أن يقول : وهو سبحانه منزه عن الكل (299)، وجميع ما في القرآن والصحف ، وما تركه على قلبي من البيان والأسماء الرفيعة فهو يقع على عبده الإ ِمام) (300).

وفي هذه الرسالة ينفي حمزة عن نفسه بأنه اخترع هذا الأمر من عند نفسه فيقول : (وها هنا باب ثان مذموم ، أعاذك المولى سبحانه منه ، وذلك قول من يقول من كافة الناس بأني اخترعت هذا الأمر من روحي ، ووضعت العلم

---

(295) المصدر السابق : ص 120 – 126 .
(296) أحمد عطية : القاموس الإسلامي ، ج 2 ، ص 156 .
(297) د . مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ، ص 273 .
(298) رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد .
(299) يقصد الإله المعبود (الحاكم) ، فالإله في نظره منزه عن كل الصفات المذكورة في القرآن الكريم – لأنها جميعها تقع على العقل وهو (حمزة).
(300) الرسالة الموسومة بسبب الأسباب .

من ذاتي ، وقوتي ، ومولانا جلت قدرته لا يعلم بذلك ولا يرضاه ... وأنا أعيذك من ذلك وجميع الموحدين المخلصين) (301).
وكما أشرت سابقًا ، فإن الدروز يجلون ويعظمون حمزة ، فنجد المقتني بهاء الدين يخاطب حمزة في (رسالة المواجهة) بقوله : (وتطول عليهم بـ المسامحة من الغلط والسهو في صحائف التوحيد ، نظمها العبد بتأييد مولاه ، وألفها ، ورسائل إلى دعاة الحق ثناها على التنزيه وعظمها . فما كان يا مولاي في هذه الصحائف والمراسلات والكتب والملطفات التي سيرها العبد من خطاب جزل ، ومنطق صائب ، وقول فصل ، فهو من منه إمام العصر ، ومؤاد (302)قائم الزمان ، وما كان فيها من خطأ وخطل فهو منسوب إلى العبد الأ صغر ، الملهوف الظمآن ، يتوسل في تقصيره إلى لطف مولاه) (303).
وفي كتاب النقط والدوائر – وهو من كتب الدروز الدينية ولا يعرف مؤلفه – يصف كاتبه حمزة بهذه الأوصاف : (فهو صلوات الله عليه النور الكلي ، و الجوهر الأزلي ، والعنصر الأولي ، والأصل الجلي ، والجنس العلي ، فيه بدأت ا لأنوار ، ومنه برزت الجواهر ، وعنه ظهرت العناصر ، ومنه تفرعت الأصول ، وبه تنوعت الأجناس ... إلى أن يقول : فهو الإ ِمام ، والدليل على عبادة الله ، والداعي إلى توحيد الله ، والناطق بحق الله ، والبرهان على الله ، والرسول الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (304).
ولا يزال الدروز إلى الآن على هذا التعظيم لحمزة - ، يقول كمال جنبلاط في مقدمته لكتاب (أضواء على مسلك التوحيد) : (ويجب أن يبقى أبناء التوحيد محافظين على هذا التكريس والتهيؤ التقليدي والاجتباء الإ ِنساني لفكرة الولاية ، لأنه في النهاية وفي الحقيقة ، لا ولاية على الموحدين ، ولا على الأنام كافة ، إلا للعقل الأرفع ، صلوات المهيمن عليه (305).
ويضيف الدكتور سامي مكارم : (وهذا المعتقد التوحيدي يعتمد العقل في استكشافاته ، ولا يراد بالعقل الأدنى ، أي البشري أو الدنيوي إن صح التعبير ، بل العقل الأرفع أو الكلي الذي هو المبدع الأول ، أبدع من النور الشعشعاني المحض صورة صافية كاملة فتضمن في سره معنى ما كان وما يكون دفعة

---

(301) الرسالة الموسومة بسبب الأسباب .
(302) هكذا وردت في المخطوط ولعل الصحيح (ومراد) .
(303) رسالة المواجهة .
(304) كتاب النقط والدوائر، 9 – 12 .
(305) د . سامي مكارم : أضواء على مسلك التوحيد ، ص 20 .

واحدة بدون زمان ، فكان قوة كاملة وفعلا ً تامًا ، وكان علة العلل وأصل الوجود وغايته معًا) (306).
مما سبق يتبين أن الإ ِيمان بإمامة حمزة – وأنه المبدع الأول وغير ذلك – هي من أهم معتقدات الدروز ، وأصل عظيم من أصولهم ، لأنه أول الحدود الخمسة الذين يعتقدون بهم ، وهو أيضًا في نظرهم نبي الحاكم .
وقد جاء في مخطوط (شرح ميثاق ولي الزمان) (307)ما يلي ثم من تسليم الروح ومعرفة العقل صفي الرب صلى الله عليه ، وتمييزه عن أخوته الأ ربعة ، وهم : النفس ، والكلمة ، والسابق ، والتالي ، وتمييزه عنهم بأحوال كثيرة 235 .
وفي شعر – مخطوط – لدرزي يسمى بـ (الشيخ أبي عبيد) يقول فيه :
ألا صلوا على قلم القضايا رسول الله أفضل من أجابا
رسول الله حمزة يا خليلي فأولى من أتانا بالكتابا (308)
وحسب عقيدة التناسخ والأدوار عند الدروز ، فقد ظهر حمزة في الأدوار الكبرى ، والأدوار الصغرى بأسماء مختلفة : فهو شطنيل في دور آدم ، وفيثاغورس في دور نوح ، وداود في دور إبراهيم ، وشعيب في دور موسى ، واليسوع في دور عيسى ، وأنه – أي حمزة – هو المسيح الحقيقي الأبدي ، وسلمان الفارسي في دور محمد (صلى الله عليه وسلم) (309)، وهو الذي أمل القرآن على محمد (صلى الله عليه وسلم) وهكذا ...
هذه لمحة سريعة عن حمزة ، إمام الدروز ، وقائم زمانهم ، تبين بوضوح ذكاء ودهاء هذا الرجل ، فقد استطاع أن يكون نموذجًا للدعاة الملاحدة ، الذين ظنوا أنهم يستطيعون أن يقوضوا أركان الإ ِسلام ودعائمه ، فلم ينفع ذكاؤهم ولا مهارتهم في هذا الدين شيء ، بل حفظ الله هذا الدين . وخابت كل مساعيهم .
ونأتي بعد ذلك إلى الداعي الآخر وهو : الحسن بن حيدة الفرغاني (310) (الأ

(306) المصدر السابق ، ص 81 .
(307) مخطوط في جامعة شيكاغو رقم 3737 : أخذت عن نسخة الجامعة الأردنية شريط رقم 29 .
(308) مخطوط في جامعة شيكاغو رقم 3737 : أخذت عن نسخة الجامعة الأردنية شريط رقم 29 .
(309) عبد الله النجار : مذهب الدروز والتوحيد . ص 123 .
(310) نسبة إلى فراغان ، بالفتح . مدينة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد التركستان . بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا . انظر ياقوت الحموي في معجم البلدان ، ج 4 ، ص 253 .

أخرم) : هذا الداعي لا نعرف عنه إلا الشيء القليل ، ذلك أنه ظهر بمدينة القاهرة عقب ظهور حمزة بقليل ، وكما يقول ابن العماد في شذرات الذهب أنه ظهر (في الثاني من رمضان سنة 409 هـ) (311).
وقد دعا إلى مثل ما دعا إليه حمزة من التناسخ والحلول ، وألوهية الحاكم ، وذاعت دعوته بسرعة في جماعة من المغامرين والمرتزقة ، فاستدعاه الحاكم وخلع عليه وأركبه فرسا مطهما ، وسيره في موكبه) (312).
غير أنه لم تمض على ذلك أيام قلائل ، حتى وثب عليه رجل من أهل السنة وقتله وقتل معه ثلاثة رجال من أتباعه ، فغضب الحاكم وأمر بإعدام قاتله ودفن الأخرم على نفقة القصر في حفل رسمي ، كما أن جمهور أهل السنة احتفلوا بمأتم القاتل ودفنوه مكرمًا) (313). (ولكن القبر نبش بعد أيام واختفت جثته ، وكان ذلك على ما يظهر بوحي الحاكم ورغبته) (314).
هذا تلخيص لكل ما ذكره المؤرخون عن هذا الداعية ، والظاهر من رسائل حمزة أنه لم يكن ضد الأخرم ، كما كان ضد الدرزي ، على أن (الرسالة الواعظة) لأحمد حميد الدين الكرماني ، تفيدنا بعض الشيء عن مهمة الأخرم وهي رسالة موجهة إلى الأخرم ردًا على رقعة بعث بها الأخرم إليه ، حيث يتضح من هذه الرسالة أن الأخرم هو الذي كان يقود حركة الدعاية للمذهب الجديد وأنه هو الذي كان يبعث بالرقاع إلى الناس يدعوهم فيها إلى عقيدته الجديدة وكان يطلب من العلماء وكبار الدعاة أجوبة فكتب إليه الكرماني (الرسالة الواعظة) .
وأول ما يراه الكرماني في رقعة الأخرم أنها خالية من البسملة ومن الصلاة على النبي ، وعلى الأئمة من ذريته ، ويضيف الكرماني قائلا ً : ولا تخلو أن تكون في تظاهرك بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ، إما متبعًا له ، أو غير متبع ، فإن كنت متبعًا فبمخالفتك إياه فيما أمرك به من السجلات المكرمة من السلام عليه في جميع المكاتبات وقعودك عن الاقتداء فيما يفعله من تصدير سجلاته وجميع مكاتباته وخطبه بسم الله الرحمن الرحيم ، والاستفتاح به ، و الصلاة على سيد المرسلين وخاتم النبيين والتبرك بها قد كفرت .
ومن الأفكار التي قالها الأخرم في رقعته للكرماني : من عرف منكم إمام زمانه حيًا ، فهو أفضل ممن مضى من الأمم من نبي أو وصي أو إمام ... وأن من

(311) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 3 ، ص 194 .
(312) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص 115 .
(313) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ، ص 78 .
(314) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص 115 .

عبد اللّه من جميع المخلوقين ، فعبادته لشخص واحد لا روح فيه ، ويتساءل عن معنى الآية الكريمة (عينًا تسمى سلسبيلا ً) (315) [الدهر : 18] ، وعن : الإسلام وشرائطه ؟ وعن : الذي يتقرب به إلى المعبود ؟ وهل الشريعة محدثة أم قديمة مع الدهر ؟ وما النفس ؟ وما العقل ؟ ثم ينتهي به القول إلى أن الشريعة والتنزيل والتأويل خرافات وقشور وحشو ولا تتعلق بها نجاة ، وأن الناس لا يوجهون وجوههم إلى القبلة لأنها حائط ، وأن المعبود هو الحاكم) (316).

وهذا يدل على أن الأخرم كان من مؤسسي هذه الدعوة ، وكان لسان دعايتها ، ولا ندري تمامًا مرتبته بين الحدود ، لأنه قتل قبل أن يتبلور مركز الحدود ومراتبهم ، ولا ندري ماذا يكون مصيره مع حمزة لو قدر له أن يعيش .

أما الداعية الآخر ، والذي ينسب إليه الدروز فهو : محمد بن إسماعيل الدرزي (نشتكين) : في حديثنا فيما سبق عن حمزة بن علي ، ذكرنا أن أول من كشف عن عقائد المذهب الدرزي ، كان محمد بن إسماعيل الدرزي سنة 407 هـ ، مما اضطر حمزة إلى الإ ِعلان والكشف عن دعوته لتأليه الحاكم سنة 408 هـ .

والدرزي على الأرجح من أصل تركي ، ويذكر المؤرخون أنه وفد على مصر سنة 407 هـ ، فخدم الحاكم وتقرب إليه ، ولكن الذي يرجحه الدكتور محمد كامل حسين : أن الدرزي كان قبل هذا التاريخ في مصر واتصل بحمزة بن علي مدة طويلة قبل إظهار الدعوة ، وعملا ً معًا في رسم خططها) (317).

ويصرح حمزة في (رسالة الغاية والنصيحة) : بأن الدرزي كان يضرب الدنانير والدراهم ، وهذا مما يؤكد أن الدرزي كان قريبًا من حمزة والحاكم .

ولاشك أن الدرزي كان من أقوى رسل حمزة وأشدهم عزمًا وجرأة ، وكان يسير على طريقة حمزة في الدعوة ، (ومن الغريب أن حمزة في إحدى رسائله يتهم الدرزي بأنه لا يقر إلا بإنسانية الحاكم بأمر اللّه ، دون ألوهيته ، مستندًا في هذا إلى أن الدرزي يقول : أن روح آدم انتقلت إلى علي بن أبي طالب ، ثم انتقلت روح علي إلى الحاكم ، وعلي هو الأساس ، والأساس هو مجرد إمام ، وليس إلهًا) (318).

أما عن مصير الدرزي بعد أن كشف عن هذا المذهب ، فيختلف المؤرخون في

---

(315) سورة الدهر : آية 18 .

(316) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ، ص 79.

(317) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ، ص 79.

(318) د. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ،ج ، ص 595.

ذلك ، فمنهم من يقول بقتله في ذلك الوقت على يد الأتراك .
ومنهم من يرجح أنه لم يقتل في هذا الظرف ، ولكنه اختفى في القصر أيامًا بحماية الحاكم حتى هدأت العاصفة وسكن الجند ، ثم دبر الحاكم له سبيل الفرار ، وعانه بالمال ، فسار إلى الشام ونزل ببعض قرى بانياس (319)وأذاع في الناس دعوته ، فكانت أصل مذهب الدروز الذي سمى باسمه ، وحاول هناك أن ينقلب على حمزة ويدعي الإ ِمامة والرئاسة له ، فقتل بتحريض من حمزة سنة 411 هـ ، والأرجح أن هذا هو السبب الوحيد والجوهري لغضب حمزة عليه .
ويفهم من رسائل حمزة بأن الدرزي لم يكن وحيدًا ، بل كان معه دعاة آخرون أمثال البرذعي ، وعلي بن أحمد الحبال ، ويذكر ذلك في (رسالة الغاية و النصيحة) فيقول : (وفرعون البرذعي ، وهامان علي بن الحبال ، لأن فرعون كان داعي وقته ، فلما أبطأ الناطق قال : (أنا ربكم الأعلى) (320)يعني إمامكم الأعظم ، وهامان الذي فتح له باب المعصية) (321).
ويقول أيضًا في رسالة (الصبحة الكائنة) : (وما منكم أحد إلا وقد نصحته بحسب الهداية إلى دعوته ، فمنكم من استجاب ، ونكث مثل على بن أحمد الحبال الذي كان مأذونًا لي ، وعلى يده استجاب نشتكين الدرزي) (322).
ويذكر كذلك في (رسالة الرضا والتسليم) : (وأما البرذعي فأنا أرسلت إليه ودعوته إلى توحيد مولانا جل ذكره ، فلما أرسل إليه الدرزي رسوله ومعه ثلا ثة دنانير وأوعده بالمركوب والخلع فمضى إلى عنده وفتح له أبواب البلايا و الكفر ، أما أصحابه كلهم فمكتوبة عندي عليهم وثائق بالشهود العادلة لأن لا يراجعوا عما سمعوه مني أبدًا).
ومن خلال هذه الرسالة يتبين لنا أن حمزة عندما عرض على البرذعي أمر الا ستجابة إلى دعوته ، شرط عليه أن يأتيه بتوقيع الحاكم ، (وهذا يعني أن الحاكم كان يعلم بدعوة حمزة ، وكان على اتصال وثيق به) (323).
وفي ختام حديثنا عن دعاة الدروز ، لابد أن نلم قليلا ً باثنين من حدودهم الخمسة وأكابر دعاتهم وهما :

---

(319) هما بلدان على الساحل السوري ، وعند القنيطرة .
(320) يشير إلى الآية الكريمة (فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى) سورة النازعات : آية 24 .
(321) رسالة الغاية والنصيحة .
(322) رسالة الصبحة الكائنة.
(323) مصطفى غالب : الحركات الباطنية في الإسلام ، ص 243 .

أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي ، صهر حمزة ويليه في مرتبة الحدود ، والذي يلقب بالنفس ، وذومصة ، والمشيئة ، وإدريس زمانه ، وأخنوخ أوانه .
والداعية الثاني هو : بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي ، المعروف بالضيف ، وهو الحد الخامس من الحدود ، ومرتبته الجناح الأيسر ، أو التالي .
أما التميمي ، فلاشك أنه من الحدود الكبار – عند الدروز – الذين قام المذهب على أكتافهم ، (وتؤكد النصوص التاريخية أن حمزة كان يعتمد على صهره وساعده الأيمن الذي ينفذ بدقة ونشاط أصعب المهمات وأشدها خطرًا) (324).
وقد كتب التميمي عدة رسائل من مجموع رسائل الدروز منها : رسالة في تقسيم العلوم ، والزناد ، والشمعة ، والرشد والهداية ، وله أيضًا شعر يمجد فيه الحاكم اسمه (شعر النفس) .
ومع ذلك فنحن نعجب لسكوت كتب التاريخ ، ورسائل الدروز عن هذا الداعية بعد غياب حمزة سنة 411 هـ ، إذ لا يوجد لدينا أي شيء عن هذا الداعية بعد هذا التاريخ .
ونأتي بعد ذلك إلى الداعية الآخر بهاء الدين ، والذي كان له أكبر الأثر في انتشار مذهب الدروز وقيامه بعد غياب حمزة سنة 411 هـ ، وذلك لأن مرتبته في الدعوة هي مرتبة الجناح الأيسر أو التالي ، وسنرى في حديثنا عن الحدود في العقيدة الدرزية ، أن من يشغل هذه المرتبة يكون لسان الدعوة ، وله من الحدود : الجد ، والفتح ، والخيال .
وقد استمر بهاء الدين يحمل أعباء الدعوة إلى مذهبه ، فكتب الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الدخول في مذهبه ، كما كتب إلى الذين خرجوا عن المذهب بعد أن كانوا من دعاته أمثال الداعي (سكين) (325)الذي ادعى أنه الإ ِله المعبود ، وأنه الحاكم بأمر الله .
ومما يذكر أن الكثير من رسائل الدروز ، قد كتبها بهاء الدين ، ومن هذه الرسائل : (رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ) ، (رسالة التعنيف والتهجين) ، (ورسالة القسطنطينية) ، وغير ذلك من رسائل كثيرة كتبها ، وأغلبها في الرد على الآراء الجديدة التي حاول الخارجون عليه أن يبثوها ، لذلك تحمل أكثر

(324) مصطفى غالب : الحركات الباطنية في الإسلام ، ص251.
(325) أحد دعاة الدروز الأوائل ، وكان يشبه الحاكم في بعض ملامحه ، فلما قتل الحاكم ادعى أنه الحاكم ، فاجتمع حوله بعض المفتونين ، واستطاع أن يدخل القصر على أنه الحاكم ، ولكن لم يلبث أن عرف الحراس حقيقته فقتل ، ويعتبره الدروز مارقا وخارجا عن مذهبهم.

العناوين من رسائله التأنيب والتوبيخ والتعنيف .
ولما شعر بهاء الدين باضطراب الأحوال ، بعد أن كثرت الآراء الدخيلة في المذهب ، أخذ يهدد أتباعه باعتزال الدعوة ، وبالفعل اعتزلها سنة 434 هـ ، بعد أن أقفل باب الاجتهاد حرصا على الأصول والأحكام التي وضعها حمزة ، و التميمي ، وما وضعه هو نفسه) (326).
هؤلاء هم دعاة الدروز ، وعلى أيديهم قام المذهب الجديد ، وسنعرض عند الحديث عن حدود الدروز باقي هؤلاء الدعاة .
ولاشك أن حمزة كان إمامهم وداعيتهم الأكبر ، وكان طموحه كبيرًا وكان بهاء الدين بالفعل متممًا حقيقيًا لما بدأه حمزة ، ولولا بهاء هذا لانقرض هذا المذهب بعد غياب حمزة .

******

(326) مصطفى غالب : الحركات الباطنية في الإسلام ، ص 252.